



الجمهورية العربية السورية

جامعة دمشق

كلية الآداب والعلوم الإنسانية

قسم التاريخ

التربية والتعليم في العصر الامبراطوري الروماني

(27 ق.م – 330 م.)

(رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في تاريخ الشرق القديم)

تقديم

نداء وليد سياف

إشراف

د. تغريد شعبان

2023

	التربية والتعليم في العصر الإمبراطوري الروماني 27 ق.م - 330 م.	
أ	الفهرس	
هـ	الملخص	
و	المقدمة	
1	الفصل الأول التربية والتعليم في العصرين الملكي والجمهوري	
2	التربية والتعليم في العصر الملكي	أولاً
2	البدايات الأولى للاهتمام بتدريب الشباب	1
6	تعليم الآباء لأطفالهم	2
12	التربية والتعليم في العصر الجمهوري	ثانياً
12	ظهور المدارس في روما	1
14	الفلسفة اليونانية وتأثيرها على الفكر والتعليم والتربية الرومانية	2
14	المدرسة الرواقية	أ
19	الفلسفة الأبيقورية	ب
21	المدرسة الشكية	3
24	الفلاسفة الرومان ودورهم في التعليم	ثانياً

25	كاتو الأكبر	1
28	شيشرون	2
35	سينكا	3
40	كونتليان	4
44	الفصل الثاني نظام التعليم في العصر الإمبراطوري	
46	تأسيس المدارس الرسمية	أولاً
46	المدارس الابتدائية	1
51	المدارس النحوية	2
54	المدارس البلاغية	3
57	سن الالتحاق بالمدرسة وسن التخرج منها	4
57	تفاصيل اليوم الدراسي	5
58	إجازات المدرسة	6
59	المعلمون	ثانياً
59	جنسياتهم	1
62	أجورهم	2
63	مكانتهم في المجتمع	3
64	العلاقة بين المعلم والتلميذ	4

65	الاهتمام بتعليم المرأة	ثالثاً
71	نظام التعليم	رابعاً
72	تعليم القراءة والكتابة	1
74	مبادئ الهندسة والعمليات الحسابية	2
74	الطب	3
76	التاريخ	4
77	الفلسفة	5
79	الأدب	6
81	المكتبات	7
84	الفصل الثالث التربية في العصر الإمبراطوري	
85	الأسرة ودورها في تربية الأبناء	أولاً
92	دور التربية البدنية في التربية العسكرية	ثانياً
91	الجيش الروماني خلال العصر الملكي	1
94	الجيش في العصر الجمهوري	2
95	الجيش الروماني خلال العصر الإمبراطوري	3
99	الإعداد العسكري	ثالثاً
103	الألعاب الرياضية	رابعاً
106	الملاكمة	1

107	رمي القرص	2
108	ركوب الخيل	3
109	المصارعة	4
109	ألعاب الصغار	5
112	خاتمة	
115	المصادر والمراجع	
122	الصور	
147	Abstract	

ملخص البحث باللغة العربية:

يهدف هذا البحث إلى تسليط الضوء على تربية الأطفال وتعليمهم منذ العصر الملكي وحتى العصر الامبراطوري، وذلك بناء على مراجعة النصوص الأدبية اللاتينية المتاحة واستقراء المصادر، وهذا ما يؤكد ما للتربية والتعليم من مكانة مهمة في روما مع أنها كانت مهتمة بالشؤون العسكرية والسياسية لكنها بالوقت نفسه أعطت عالم الطفل والطفولة أهمية كبيرة، لأن مرحلة الطفولة تشكل الأمل الكبير الذي تبنى عليه المجتمعات وعملية التربية تشمل كل العمليات التي ترمي إلى تكامل الفرد جسمياً وعقلياً ووجدانياً، وتهدف إلى إدماج الطفل في بيئته وتأهيله لتحمل مسؤوليات اجتماعية واقتصادية وأخلاقية، وهذا ما يتضح في كتابات المهتمين بالتربية أمثال كونتيليان وشيشرون وغيرهما، فقد كانت نصائحهم عملية تهدف إلى العناية بتكوين الفضائل وتقويم الخلق.

الكلمات المفتاحية:

التربية، التعليم، المدارس الفلسفية.

المقدمة:

ربط الرومان جذورهم الأولى بالحدث الأشهر في تاريخ اليونان، وهو حرب اليونان ضد طروادة، وتدميرهم لها في أوائل القرن الثاني عشر قبل الميلاد، وهو الحدث الذي تروي ملاحم هوميروس الشهيرة الإلياذة والأوديسة بعضاً من فقراته المؤثرة، ونسب الرومان أنفسهم إلى أحد الطرواديين الذين تمكنوا من مغادرة المدينة بعد ما دمرها الإغريق وهو المخلوع نوميتر.

بعد ذلك قرر الأخوان ريموس ورومولوس إقامة مستوطنة في نفس المكان الذي رسي فيه الصندوق الذي وضعهما رضيعين على ضفاف التيبر، وبذلك كان المكان الأصلي لبناء روما هو تل البلاتين، وتروي الأسطورة أن الأخوين قدما قرابين للآلهة مع بداية الإعداد لإقامة المدينة، فأوحت العرافة بأن الآلهة قد قبلت قرابين رومولوس ولم تقبل قرابين ريموس وهو ما يوحي بتفضيل الآلهة رومولوس ملكا على المدينة¹.

ولكن لم يتحمل ريموس الأمر برحابة صدر، بل أبدى ازدراءه من ذلك مما جعل أخاه رومولوس يقوم بقتله، وسميت المدينة روما باسم رومولوس. وذكر أن رومولوس وسع من نطاق مدينته الجديدة وشجع العبيد وحتى المجرمين على الإقامة في المدينة الجديدة التي أسست عام 753 ق.م.²

ولما كان مؤسسو المدينة الجديدة كلهم من الرجال، وكانوا ييغون الحفاظ على كيان واستمرارية هذا الكيان، فقد كانوا بحاجة إلى عنصر نسائي وهو ما أوحى لرومولوس ورفاقه باللجوء إلى خدعة لتحقيق هذا الغرض، حيث نظموا حفلا وألعابا احتفالا بتأسيس مدينتهم ودعوا جيرانهم من قبائل السابينيين المجاورة مع نسائهم وأطفالهم، وأثناء الحفل قام شباب الرومان باختطاف بنات السابينيين واتخذوا منهن زوجات عنوة، وقد أدى هذا إلى نشوب حرب بين السابينيين والرومان الذي حاصروا

¹ عكاشة، علي: (1991)، ص 138.

² المرجع نفسه، ص 149.

الكابيتول، ويروى في هذا الصدد أن فتاة تدعى تارپيا Tarpia قد وعدت بتسليم الحضور قاعدة الكابيتول لهم إن أعطوها ما يحملونه من أسلحة، ولكن رواية أخرى تبرز تارپيا كبطله مضحية وأنها كانت تنوي الاستيلاء على دروع السابينيين كي تساعد الرومان، وبعد المزيد من القتال ضد السابينيين توصل الرومان إلى صلح معه توسطن بإبرامه بنات السابين المختطفات، ومن بعدها عاش الرومان واستقروا جنباً إلى جنب مع السابين ونشأت بينهم قرى ومصاهرة¹.

وقد انقسم تاريخ روما إلى ثلاثة عصور إذ سميت الفترة الممتدة من تأسيس روما سنة 753 ق.م إلى سنة 509 ق.م بالعصر الملكي، في حين أطلق على المدة الممتدة بين 509 ق.م إلى 27 ق.م بالعصر الجمهوري، أما المرحلة الثالثة التي بدأت 27 ق.م فقد أطلق عليها العصر الإمبراطوري، وهو حكم أباطرة أقوياء قائمين على رأس السلطة فضلاً عن أن روما كانت في أوج قوتها واتساعها في تلك الفترة، مما جعلها أعظم الإمبراطوريات في العالم القديم، وقد جمعت مزيجاً من الشعوب انصهرت جميعاً في المجتمع الروماني مؤلفاً مجتمعاً رومانياً ثقافياً. وكان النظام التربوي والتعليمي الذي وصلت إليه دوراً كبيراً في الإصلاح الاجتماعي وتربية النشء وإعداده للحياة فكانت التربية السائدة بعيدة عن الخيال والتأمل، وهذا ما يظهر بوضوح في النظام التربوي الذي وضعته، وقد خلقت هذه الحضارة مؤلفات مهمة عن التربية، فظهر فيها عدد من الكتاب والفلاسفة والمربين الرومان الذين اهتموا بشؤون التربية وإصلاح نظماً ووضعوا أصولاً وطرائق لها.

هذا وكان للمرأة نصيب وافر من التعليم، فهي لم تكن مجرد زوجة تدبر أعمال المنزل بل كانت مربية لها مكانتها العظيمة في هذه الحضارة، وكان للنظام التربوي الذي وضعته روما دور مهم وجوهري في قوة جيشها الذي حقق انتصارات عديدة بفضل هذه التدريبات.

¹ رزق الله أيوب، إبراهيم: (1996)، ص 26.

الإشكالية البحثية وتساؤلاتها:

يهدف هذا البحث إلى تسليط الضوء على واقع منظومة التربية والتعليم في روما بناء على النصوص الأدبية المتاحة، من أجل تحقيق هذا الهدف حري بنا أن نطرح العديد من الإشكاليات والتساؤلات ونحاول الإجابة عليهم، ويمكن أن نلخصهم في إشكالية رئيسية تبدأ منها الدراسة وتنتهي إليها وهي:

ما هو واقع التربية والتعليم في العصرين الملكي والجمهوري؟

تتدرج العديد من الإشكاليات الفرعية تحت الإشكالية الرئيسية، والتي تسلط الضوء على محاور جزئية في الموضوع وهي:

- كيف كان التعليم في الفترة الرومانية، وما هي أهم مؤسساته؟
- هل خضعت المدارس الرسمية لمقررات وبرامج تعليمية؟
- بماذا تميزت العلاقات القائمة بين أفراد الأسرة؟ وفيما تكمن وظيفة الأسرة ضمن المحيط الاجتماعي؟
- ما هي أدوار المرأة الرومانية؟
- هل كان للفلاسفة الرومان دور في وضع أسس تربوية في المجتمع؟
- هل كان للتدريبات التي تلقاها الجيش الروماني دور في تعزيز قوته؟

ولذلك تدفعنا هذه التساؤلات للبحث في أعماق واقع التربية والتعليم عند الرومان، ومحاولة إيجاد

إجابات موضوعية وحلول تعكس واقع التربية والتعليم عند الرومان، بالاعتماد على مجموعة من

المصادر والمراجع للإحاطة بمختلف جوانب البحث.

هدف البحث:

إن ندرة الدراسات العربية التي تناولت التربية والتعليم في روما دفعتني إلى اختيار هذا البحث رغم صعوبته، فمعظم الدراسات العربية تناولت دراسة اقتصرت على الجوانب السياسية والأثرية والاجتماعية لهذه الحضارة، دون التطرق إلى التربية والتعليم فيها.

ويسعى البحث ليكون حلقة في سلسلة الدراسات العلمية المتخصصة التي درست الحضارة الرومانية عبر التاريخ الطويل، فالبحث يهدف إلى إلقاء الضوء على هدف التربية الرومانية وهو تكوين المواطن الصالح وتزويده بالفضائل ليصبح قادراً على القيام بواجبه نحو المواطنين ونحو الدولة. ولن يكون هدف البحث الجمع فحسب، بل يحاول أن يكون مرجعاً مهماً عن تاريخ روما التربوي والتعليمي، ويقدم الأفكار العلمية والأكاديمية وفق منهج صحيح، كما أنه يسعى لسد ثغرة في مكتباتنا عن تاريخ الامبراطورية الرومانية تلقى اهتماماً كبيراً من الباحثين والمؤرخين العرب.

أهمية البحث ومبرراته:

تأتي أهمية البحث من كونه يلقي الضوء على جانب هام من جوانب الامبراطورية الرومانية الذي يعد ركناً أساسياً في ازدهارها وتطورها وما يحقق هذه الأهمية ندرة الدراسات العربية التي تناولت هذا الموضوع بشكل منهجي ومتخصص، ولذلك كان لا بد من إعداد دراسة شاملة ودقيقة تغطي هذا الجانب الهام.

وهناك أهمية أخرى تكمن في إظهار الدور التربوي لفلاسفة الرومان، فقد كانت نصائحهم عملية يتجه معظمها إلى إصلاح المناهج الدراسية، إلى العناية في التربية عند الرومان إظهار دور التربية في حياة الأطفال باعتبار عالم الطفل والطفولة من أكثر العوالم خصوصية، وأكثر التطورات التي تكون عند الفرد تكون في هذه المرحلة، فلا يمكننا بأي حال من الأحوال إهمال هذه الفئة وإنقاص حقها من الدراسة،

فالطفولة هي ذاك الأمل الذي تبنى عليه المجتمعات، وهو الشيء الذي لم تهمله المجتمعات القديمة على وجه العموم، والمجتمع الروماني على وجه الخصوص.

مصطلحات البحث:

تضمن البحث العديد من المصطلحات، ومن أبرزها:

- الأب **Pater**: هو سيد الأسرة وراعيها وكانت له سلطة مطلقة على الأسرة كونه المسؤول عنها وعن أفرادها؛ من حيث توفير سبل المعيشة، وهو المسؤول عن ثروة الأسرة وتربطها الاجتماعي¹.
- الأبناء **Lieber**: هم أبناء الأسرة سواء كانت صغيرة أم كبيرة، يعيش في كنف الأبناء غير المتزوجين، وكان عملهم يتمثل في مساعدة الأب على إنجاز الأعمال خارج المنزل، ومساعدة الأم في داخله².
- العبيد **Servi**: انتشرت ظاهرة العبودية بشكل كبير في المجتمع الروماني مع كثرة الحروب والتوسعات، وبعد أن تكاثر عددهم في نهاية العصر الجمهوري وبداية العصر الامبراطوري ساءت أحوالهم ومعاملتهم كثيرا، رغم أن بعض من يملكهم من الأسر الغنية كانوا يعتمدون عليهم في أشغال المنزل والحقل مما أتاح الفرصة للبعض أن يعاملوهم معاملة جيدة نوعا ما، وقد حدد القانون الروماني حالات العبودية تتمثل الأولى بسبب الأصل، والثانية عن طريق الأسر والثالثة بسبب بعض الحالات التي يحددها القانون مثل الدين³.

¹ رزق الله أيوب، إبراهيم: (1996)، ص 107.

² السعدني محمود، إبراهيم: (2007)، ص 64.

³ إيمار، أندريه: (1986)، ص 389.

الدراسات السابقة:

تناولت الدراسات السابقة عملية التربية والتعليم، رغم أنها لم تحظ بدراسة خاصة شاملة ومعمقة، إذ أن معظم الدراسات التي تتعلق بالموضوع تناولته عرضياً ضمن مواضيع عامة؛ حيث جاءت هذه الدراسات لتعالج الموضوع من منظور فني، ومن أهم هذه الدراسات كانت لـ:

قنديل زايد، مصطفى محمد، (2006)، التربية والتعليم في الحضارة اليونانية والرومانية دراسة وثائقية وأثرية، القاهرة.

حيث تناولت هذه الدراسة جوانب التربية والتعليم عند اليونان والرومان من خلال النماذج النحتية والمصادر الفنية.

منهج البحث وأدواته:

اعتمدت في هذا البحث المنهج العلمي الاستقرائي والتحليلي المستمد من المصادر الأساسية، في محاولة للوصول إلى الحقيقة العلمية الصحيحة، لاستقراء الماضي، وفهمه، وإظهاره بالطريقة المثلى ويمكن تقسيم بعض المصادر والمراجع التي اعتمد عليها إلى:

أولاً: المصادر الأدبية:

وتشمل هذه المصادر كتابات المؤرخين الذين تناولوا بالدراسة الفترة التي يعالجها البحث؛ مما يجعل كتاباتهم أحد الركائز الأساسية التي يعتمد عليها البحث، نظراً لما تحتويه هذه المصادر من معلومات مهمة. ومن بين أهم هذه المصادر:

1- أوغسطينوس أوريليوس "Aurelius Augustinus": عاش بين (354 - 430 م) يُعتبر

نوميديّ المولد والنشأة، من أسرة ميسورة الحال، من أبرز مؤلفاته الاعترافات

"Confessions" الذي أورد فيه أخبار حياته، ويعدّ نوعاً جيداً من الآداب، يندرج تحت مسمى السير الذاتية مع التحليل العميق لشخصية الكاتب وحياته الخاصة. يتكون هذا المؤلف من ثلاثة عشر كتاباً، شرح فيه سيرته الذاتية بأدق تفاصيلها من الطفولة إلى الهداية، ماراً بسرد شهواته ونزواته، وكيف كان بارعا في التعليم، وطالبا متفوقاً في جامعة قرطاج. وقد أفدت من هذا المؤلف من خلال نماذج المرأة التي طرحها، ومعلومات عن دور المرأة وأهميتها في تربية أطفالها.

2- فيجيتيوس "Vegetius": وهو مؤرخ من أواخر الفترة الإمبراطورية، ولا يُعرف عن حياته سوى ما أورده في كتابه الذي يحمل اسم الموجز "Epitomae Militaris"، وفي هذا الكتاب بيّن كيفية تنظيم الجيش وتدريب القوات على استخدام الأسلحة وطرق إدارة المعارك بهدف تعزيز التنظيم وشجاعة الفرق العسكرية

3- شيشرون Marcus Tullius Cicero: ولد ماركوس تولليوس شيشرون في عام 106 ق.م لأب ميسور الحال من طبقة الفرسان، أرسله أبوه إلى روما ثم إلى بلاد اليونان؛ ليتعلم الفلسفة والخطابة، كما أنه تقلّد المناصب العامة؛ فانتُخب حاكماً مالياً (كوايستور) عام 75 ق.م مدّة عام في غرب صقلية، وفي عام 66 ق.م عُيّن حاكماً قضائياً (برايتور)، وكان له عدد من المؤلفات عن الخطابة وغيرها. أما أبرز مؤلفاته فكتابه "الجمهورية" الذي عرض فيه مجموعة من المبادئ الأخلاقية التي أكّد على ضرورة غرسها في الأطفال، وحرص على تدريب الجسم لينضج العقل، كما أكّد على دور النظام التربوي في روما، وأهميته بوصفه وسيلة لرفع مستوى المواطنين.

4- بلوتارخوس Plutarch (46-120م):

واحد من أهم المؤرخين الذين عاشوا في بدايات العصر الإمبراطوري الروماني ذاعت شهرته بسبب كتاباته التي سجلت حياة العديد من الشخصيات البارزة في التاريخ الإغريقي والروماني، كما كتب

مقالات عديدة تناولت شتى نواحي الحياة سياسيا وفلسفيا وأدبيا فضلا عن نظريات في تربية الأطفال وتعليمهم وقد تجمعت كلها تحت مسمى Moralia ولكنها لم تتل من الشهرة ما نالته كتاباته التاريخية¹.

كما استفدت من أشعار أوفيدوس Ovide معلومات تتعلق بالأخطار التي تحدث بقواد العربات؛ عربات السباق، حينما كانوا يحاولون تجنب حدود صخور الحلبة، ومحاولاتهم إبراز التقدم والنصر، وغير ذلك من مصادر تم استخدامها والرجوع إليها.

وكما اعتمدت على عدد من المراجع الأجنبية التي تُعنى بدراسة أجزاء من موضوع البحث، وكيفية نمو الطفل ليصبح مواطناً رومانياً يعتمد عليه لخدمة المجتمع، ومن بين هذه المراجع:

1- هنري إيريني مارو Henri Irene Marou: الذي يتحدث عن تاريخ التعليم القديم، بجزئه

الثاني عن التعليم الروماني " Histoire de l'education dans le mond romain du

"debut de la republique a la mort de comode

2- كتاب دانييل قورفيش Danielle Gourvitch، وهو بعنوان المرأة في روما القديمة " La

femme dans la Rome Anique؛ حيث أفادني بدراسة الجزء الخاص بالمرأة الرومانية

وحياتها اليومية. ومن أبرز الكتب المعربة التي تم الاعتماد عليها كتاب:

3- كوبلستون (فردريك): تاريخ الفلسفة، المجلد الأول (اليونان والرومان)، الذي أفادني في الرجوع

إلى تاريخ الفلسفة؛ نشأتها وتطورها.

¹ Jones.c.p.: (1973), p21.

الفصل الأول

التربية والتعليم في العصرين الملكي والجمهوري

أولاً: التربية والتعليم في العصر الملكي

ثانياً: التربية والتعليم في العصر الجمهوري

ثالثاً: الفلاسفة الرومان ودورهم في التعليم

أولاً: التربية والتعليم في العصر الملكي (753 - 509 ق.م):

لقد كان الرومان قوماً عمليين واقعيين، منظمي التفكير، بعيدين عن الخيال أو الفلسفة، وامتازوا بتفضيلهم العمل على القول، وقدروا الأشياء حسب قيمتها النفعيّة أي أنهم كانوا مخالفين لليونان القدماء، حتى لقد قيل: "إذا انتقلنا من أثينا إلى روما، فكأننا انتقلنا من الشعر إلى النثر، من نزهة فنان إلى مؤسسة عمليّة، من قوم حاولوا جعل أوقاتهم جميلة وسعيدة ليتمتعوا بها تمتعاً منطقيّاً نبيلًا، إلى قوم ضحّوا بالمتعة الحاضرة في نظير الكسب المنتظر، من قوم يحيون بتفكيرهم إلى قوم يحيون بقوتهم"¹.

ولم يكن الشعب الروماني شعباً مبتكراً بقدر ما كان ممتازاً في النواحي التطبيقية؛ فقد استعار الرومان أفكار اليونانيين القدماء، وترجموها إلى أعمال؛ استعاروا منهم الرياضة والعلوم وطبقوها في رصف الطرق والبناء، واستعاروا أفكارهم عن تنظيم المجتمعات، فساعدتهم هذه الأفكار على سن القوانين التي صارت وما زالت مرجعاً للأمم الحديثة.

1- البدايات الأولى للاهتمام بتدريب الشباب:

كانت الأسرة الرومانية القديمة ذات مكانة مهمة عند الرومان فقد عرفت الأسرة بتماسكها، حيث تمتع الأب بمكانة متميزة فهو الذي كان يقرر إبقاء الطفل في الأسرة ليصبح عضواً من أعضائها أو يقرر وأده عندما يعرض عليه بعد ولادته، وقد أعطته القوانين الرومانية حق التصرف في حياة طفله، وحق بيعه أيضاً إذا أراد ذلك وكانت المرأة تقع تحت سيطرة رب العائلة، فإن كانت غير متزوجة وقعت تحت سيطرة أبيها، وإن كانت متزوجة وقعت تحت سيطرة زوجها، وقد سمح للفتيات بالزواج منذ سن الثانية عشر، ولكن بالرغم من هذه القيود

¹ Davidson, Thomas, (1900), p. 106.

التي فرضتها التقاليد الرومانية على المرأة فإنها تمتعت بقسط من الحرية والمكانة الاجتماعية وعُنت بتربية أطفالها وتعليمهم مشتركة مع زوجها في هذه العملية¹.

كان الأب الروماني يسيطر على كل ما يتعلق بتربية ابنه فإذا قبل الأب ابنه في الأسرة بعد أن يعرض عليه عقب ولادته، وأبقى عليه فيجب أن يمنحه اسماً من اليوم التاسع لولادته إذا كان ذكراً، أو في اليوم الثامن إذا كان أنثى، وكان يقام حفل ديني في المعبد حتى يظهر الطفل ثم يعلق حول رقبتة حرز يحميه من الحقد والحسد. كان الطفل يعلم بالمنزل حتى سن السابعة، بحيث تشرف الأم على تكوين الخصال الحميدة فيه وتعلم الفتاة شؤون المنزل من تنظيف وطهي وغسل ونسج، وبالرغم من جو الرزانة والوقار اللذين كانا يحيطان بالأسرة الرومانية إلا أن هذا لم يمنع من عناية الوالدين بإسعاد الطفل وشغل أوقات فراغه بالتسلية المناسبة له، فكان يعطى الطفل ألعاباً كثيرة مثل العرائس والأحصنة الخشبية، كما سمح له بتربية الحيوانات الأليفة واقتنائها كالطيور والقطط والكلاب وغيرها².

وفي سن السابعة كان أطفال الرومان يُرسلون إلى المعسكر العام حيث يتدربون تحت إشراف الدولة. وفي المعسكر العام كان الصغار يقسمون إلى مجموعات، لكل مجموعة قائد، وكان الصبي في المعسكر يدرب على إطاعة الأوامر، كما يُدرب تدريباً رياضياً يتدرج في الخشونة كلما كبر الصبي. وكان يساعد رئيس المعسكر في الإشراف على الصبية، والتأكد من اتباعهم القوانين الموضوعية، أفراداً مهمتهم التفتيش وعقاب المذنبين بالجلد، فكانت الطاعة والتواضع سمتين أساسيتين في المعسكرات الرومانية، وكان على كل مواطن روماني أن يساعد في تنشئة الصبية وتشجيعهم وإرشادهم في المعسكر، فكان المواطنون يحضرون المباريات الرياضية.

¹ Monroe, pauli, (1922),. P183.

² Ibid., p. 184.

وبعد سنّ الثانية عشرة لم يكن يسمح لهم بالاستحمام، ولا بالنوم إلا على فراش من القش الخشن، الذي يقطعونه بأيديهم من آلات قطع. كذلك كان غذاؤهم موحداً أو بسيطاً ورديء الطّهو، ولم يكن يسمح لهم منه إلا بكميات قليلة جداً تكاد لا تكفي لسدّ رمقهم.

أما التمرينات الرياضية التي كانوا يدرّبون عليها في المعسكرات، فقد بدأت بالتمرينات البسيطة، وتدرّجت إلى العنيفة شيئاً فشيئاً، وكان أهم هذه التمرينات الجري والقفز، ثم رمي القرص والحرية، وركوب الخيل والقنص، والرقص الحربي والديني، ثم المصارعة والملاكمة في آخر مدّة إقامتهم في المعسكرات، ولم يكن الغرض من هذه التمرينات الرياضية إكساب الأجسام رشاقة، بل إكسابها قوّة عضليّة، وكان الغرض من التدريب على رمي القرص والحرية إعدادهم للحرب التي كانوا يلجؤون فيها إلى رمي الحجارة والحرا¹.

كذلك كان الغرض من التدريب على الرقص إكساب الشباب مهارة في أنواع الرقص المختلفة التي تتطلبها المناسبات الدينيّة أو الحرية، وكان الشباب يقلّدون حركات الحرب على إيقاع الموسيقى، وكانت الفتيات يشاركن الشبان في بعض أنواع الرقص، ولم يُعنّ المدربون في المعسكر العام بتربية الصبية من النواحي العقليّة أو الثقافيّة أو الفنيّة، فقد كانت التربية عسكرية بحتة، ولكن الصبية الرومان كانوا يلمّون بالمعلومات العامّة عن طريق مناقشاتهم المواطنين الذين كانوا يشرفون عليهم في المعسكر، أو يتعاطون معهم وجبات الغداء في المطاعم العامّة²، وكانت هذه المناقشات أهم مصدر لتقافتهم، كذلك حفظوا بعض الأغاني والأشعار الدينيّة عن ظهر قلب.

وهكذا كان الفتيان يدرّبون جيداً على فنون الحرب واستعمال الأسلحة وكانت قوّة احتمالهم تُختبر كلّ أسبوعين تقريباً بأن يُجلدوا بقسوة، أما الفتيان الذين يظهرون نبوغاً في

¹ Davidson, Thomas, (1900), p. 129.

² Ibid., p. 130.

القيادة في أثناء إقامتهم في المعسكر العام، فإنهم كانوا يُتركون فيه حتى سنّ العشرين، كان الفتيان جميعهم ينضمّون إلى صفوف الجيش؛ حيث يمضون عشر سنوات جنوداً نظاميين، يمارسون الحرب وقت نشوبها¹.

وقد استطاع الرومان من خلال هذه التدريبات التي تلقّاها أبناؤهم أن يستعبدوا بقية الشعوب، وأن يسخروها لخدمتهم، وأن يحافظوا على سيادتهم وكيانهم، وتمكنوا من التغلب على الثورات الداخليّة، وصدّ عدوان القبائل المعادية من حولهم. وقد نجحت هذه التدريبات في تكوين أفراد امتازوا بالطاعة والولاء للدولة، والتواضع، والاستعداد لقبول النصيح والإرشاد، كما امتازوا بالقوة والصحة والشجاعة والصبر والقدرة على الاحتمال، من دون تذمّر أو تأنّف، كما أن قدرتهم على التفكير أو التخيل كانت محدودة.

ويعتبر الهدف التربوي في هذه الفترة من تاريخ روما هو تكوين المواطن الصالح، والذي هو في نظرهم الجنديّ الشجاع المتحلي بالفضائل التي تساعده على معرفة ما له من حقوق، وما عليه من واجبات، وكان أهم هذه الفضائل التقوى والطاعة اللتان تساعدان الفرد على إطاعة الأبوين واحترامهما، وعلى إطاعة أوامر الآلهة حيث ذكرت الأساطير قضية تعليم الآلهة للبشر للفنون المختلفة حيث تشير المصادر الأدبية² أن خيرون عرف بأنه معلم الأبطال وخاصة أخيليس الذي كان يعني في العالم الروماني الرجل الشجاع فضلاً عن كونه بطل الإلياذة الشهيرة. لقد صورت قصة تعليمه على يدي خيرون ذلك الكنتاوروس واسع الحكمة، ورغم ندرة المشاهد الفنية الرومانية إلا أنها جاءت لتعبر بوضوح عن الفنون والعلوم التي كان يتلقاها أخيليس في مدرسة خيرون المعرفية.

¹ Monroe, Pauli, (1922), p. 190.

² Wheelrm.m.: (1991), 50.

كما كان للمشاهد الفنية دور في تصوير تعليم الآلهة للبشر ففي أحد المنحوتات صور خيرون يعلم أخيليس الصيد في الحربة، بحيث صور خيرون عارياً بالوضع فيما عدا الصدر فصور أمامياً، وينظر برأسه إلى حيث الحيوانات البرية، بينما يمسك بيد أخيليس اليمنى بيده اليسرى، وصور أخيليس ينظر إلى حيث ينظر معلمه ويمسك بيده مجموعة من الحراب كما صور أخيليس في مرحلة الصبا ليظهر النحت ملامح الوجه الطفولي له وإظهار عاطفة الأبوة لخيرون المعلم الذي يمسك بيد تلميذه، كما صورت أخيليس يتعلم الموسيقى على يد معلمه خيرون بحيث يظهر خيرون يعلم أخيليس طريقة العزف على القيثارة ويشرح كيفية العزف عليها¹.

من العرض السابق يبدو أن أسطورة خيرون وأخيليس قد أظهرت أخيليس صبياً في سن الدراسة تخطى السابعة من عمره مثله مثل أطفال البشر العاديين، ويذهب إلى خيرون ليتعلم على يديه ما يتناسب مع خبراته كمعلم للأبطال بحيث علمه العزف والصيد وبذلك يظهر كرمز من رموز التعليم في روما.

2- تعليم الآباء لأطفالهم:

اهتم الرومان بتربية الأطفال وتعليمهم في إطار اهتمامهم بحضارتهم، وباعتبار ذلك من الأسس التي قام عليها مجتمعهم، فما من مجموعة استقرت في مكان إلا أقامت مدرسة لتعليم الأطفال، كما أن التعليم تأثر بالعوامل السياسية والاجتماعية والاقتصادية.

لقد اختلف الفلاسفة والمفكرون قديماً في تحديد السن التي يجب أن يبدأ فيها الطفل بتلقي تعليمه، غير أن السن التي كان يبدأ الطفل فيها بالتعلم لم يرتبط بآراء الفلاسفة والمفكرين على قدر ما ارتبطت بمدى ثراء الأسرة؛ فكان أبناء الأسر الغنية يبدؤون تعليمهم

¹Wheelrm.m.: (1991), 91.

مبكراً، وذلك لمقدرة أسرته على دفع تكاليف التعليم، كما كانوا يستمرون في التعليم فترة أطول¹.

ولقد ظلّ هذا الارتباط بين مقدرة الأسرة مادياً، والمدى الذي يناله الأبناء في التعليم قائماً في روما فترة طويلة، وكان للمؤرخ بلوتارخوس² Plutarch آراء حول تعليم الآباء لأطفالهم ولا سيما أولئك الذين قد يمنعهم فقرهم من الاستتارة بآرائه في التعليم، فهو لا يتعدى القول إن الفقراء يستطيعون، على قدر الإمكان توفير التعليم الجيد لأبنائهم، أما إذا لم يمكنهم ذلك فعليهم أن يستفيدوا بأفضل ما يتيح له ظروفهم السيئة.

ورغم أن بلوتارخوس لم يخصص سوى تلك الكلمات القليلة كأفراح البائسين، للإشارة إلى إمكانية تعليم أبناء الفقراء، فإنه يعتذر إلى قرائه لأنه أثقل كاهلهم بتلك المشكلة البسيطة، فالتعليم آنذاك لم يكن حقاً للجميع، ولم يكن مسؤولية الدولة، وإنما كان مسؤولية الأسرة؛ لذلك ارتبط بمقدرة الأسرة المادية، كما كان مقتصرًا على أبناء المواطنين الأحرار³.

يبدأ بلوتارخوس مقالته حول تعليم الأولاد قبل ولادة الطفل، فالطفل كائن حي يتأثر بما يرثه عن أبويه من صفات وخصائص، كما يتأثر بالبيئة التي ينشأ فيها، لذا حرص معظم الذين تناولوا قضية تربية الأطفال على الإشارة إلى دور الوالدين في تنشئة طفل سليم. لكن بلوتارخوس هنا أكد على اعتبار الرجال الطرف الذي يتمتع بحرية الاختيار في الزواج، لذا فمن الضروري أن يحسنوا اختيار أمهات أطفالهم، وينصحهم بألا تكون لهم علاقات مع الساقطات من النسوة، لأن الأصل الطيب مفخرة للأبناء طوال حياتهم⁴، كما أكد على ضرورة

¹ Hadas, M. H, (1959), p. 62.

² بلوتارخوس (46- 120 م): واحد من أهم المؤرخين الإغريق ذاعت شهرته بسبب كتاباته التي سجلت حياة العديد من الشخصيات البارزة في التاريخ الإغريقي والروماني، كما كتب مقالات عديدة تناولت شتى نواحي الحياة سياسياً وفلسفياً ودينيًا وأدبيًا، فضلاً عن نظريات تربية الأطفال وتعليمهم. للمزيد من المعلومات انظر: Jones, J. C, (1971), p. 8.

³ Hadas, M. H, (1959), p. 65.

⁴ Vogat, J, (1965), p. 119.

دور الأم في تربية الأطفال؛ لكونها تقوم بتغذية أطفالها ورعايتهم وإرضاعهم بنفسها؛ لأنَّ إرضاع الأم طفلها يربطهما معا برباط الحب والرحمة.

ويرى بلوتارخوس أنه إذا ما عجزت الأم عن العناية بطفلها منفردة، فإنه يجب عليها أن تختار من تساعد في ذلك بمنتهى الدقة. ثم ينقل بلوتارخوس إلى الحديث عن مرحلة عمرية أكبر، وهي تلك التي تستلزم وضع الصبية من الأطفال تحت مسؤولية المرافق، وهنا يلقي بلوتارخوس اللوم على بعض الأسر لقلة اهتمامها بحسن اختيار المرافقين الذين يعهد إليهم بتربية الأطفال وملازمتهم، نظراً لأهمية الدور الذي كان المرافق يؤديه في تكوين شخصية الطفل، لذا فمن الضروري التدقيق في اختيار العبيد الذين توكل إليهم هذه المهمة، فالعبد هو الذي يصطحب الطفل، ولا سيما عند ذهابه إلى المدرسة وعودته منها، وذلك لتأمين سلامة الطفل¹، كما كان يشرف على الجانب الأخلاقي للطفل في مقابل الجانب التعليمي الخالص الذي كان المعلم يقوم به، فعن طريق الاحتكاك اليومي المباشر بالطفل كان المرافق يغرس في نفس الطفل من آداب السلوك، ومن القيم والمثل والمبادئ، ما يجعل شخصية الطفل تتشكّل سوياً. ومن ضمن دروس السلوك القويم والتصرف السليم التي كان الطفل يتلقاها على يد المرافق، أن يسير في الطريق مطأطئ الرأس دليلاً على التواضع، وأن يفسح المجال في أثناء السير لكبار السن، وأن يلتزم الصمت حينما تجتمع الجلسة بمن يكبره سناً.

لقد كان المرافق من الشخصيات التي أدّت دوراً هاماً في تربية الطفل وتعليمه، حتى إن وجود الطفل قد اقترن في ذهن المؤرخين بوجود مرافق، فلم يتخيّل المؤرخون طفلاً من دون أن يكون بصحبته المرافق².

¹ Vogat, J, (1965), p. 120.

² Hadas, M. H, (1959), p. 73.

ولقد تركت الأسر الرومانية، في معظمها، مهمّة التعامل مع الطفل للمرافق الذي كان في معظم الأحيان عبداً أجنبياً، تتوسّم فيه الأسرة الإخلاص والوفاء، وكان في أحيان كثيرة عبداً عجوزاً، قد بلغ من العمر ما يجعله عاجزاً عن القيام بالأعمال التي تتطلب مجهوداً بدنياً كبيراً¹.

ولقد احتل بعض المرافقين مكانة خاصة لدى بعض الأسر، وفي نفوس الصبية الذين قاموا بتربيتهم، حتى غدت القاعدة في كتابة السير الذاتية للعظماء، أن تُذكر أسماء المربين الذين أشرفوا على تربيتهم في طفولتهم². ويصل بلوتارخوس في حديثه إلى أهمّ مرحلة في تعليم الطفل، عندما يصل إلى سنّ السابعة، فقد كان يبدأ بالذهاب إلى المدرسة أو كان المعلمون يأتون إلى منزله، وذلك رهناً بمقدرة الأسرة الماديّة.

وفي هذه المرحلة يفضّل اختيار معلم جيّد، وينصح الآباء بأن يختاروا معلّمين تخلو سيرتهم من الفضائح، ويكونون فوق مستوى الشبهات، ويتوافر لديهم أحسن مستوى من الخبرة في التدريس، لأن المعلم يؤدّي دوراً مهماً في تنشئة الطفل، فهو يشبّه المعلم بالفلاح الذي يضع العصا بجانب النبت الصغير، لكي يستقيم عوده، فلا ينمو وهو معوج. وبالمثل فإنّ المعلم القدير يبيث القيم والمبادئ في نفس الطفل، ما يجعل شخصية الطفل تنمو بشكل سليم³.

لم يكن التعليم في هذه الفترة إجبارياً أو خاضعاً لإشراف الدولة، وإنما كان تعليمياً خاصاً تتولّى الأسرة مسؤوليته، وتختار لأبنائها من المعلّمين من تشاء، بما يناسب قدرتها الماديّة، لذلك بلوتارخوس يعنّف الآباء الذين يذهبون في حبهم للمال حداً يبدون معه كما لو كانوا يبعضون أبناءهم؛ لذلك فهم يبحثون عن يتقاضون أقلّ الأجور، بغض النظر عن

¹ Vogat, J, (1965), p. 128.

² Jackson, R, (1988), p. 88- 102.

³ Plutarch, 35, c.

مقدرتهم وكفاءتهم بوصفهم معلمين¹، ويحدّر هؤلاء الآباء من سوء مصير أبنائهم الذين بخلوا عليهم بالتعليم لأن التعليم الجيد هو الذي يساعد في الوصول إلى الامتياز الخلفي والسعادة.

ولقد كان التعليم قديماً ينقسم إلى ثلاث مراحل، فالمرحلة الأولى يتعلم فيها الطفل القراءة والكتابة وبعض مبادئ الحساب، والتدريبات البدنية، كما كان الأطفال يدرسون في تلك المرحلة بعض مبادئ الموسيقى. ويدرس الطالب في المرحلة الثانية مناهج رئيسية؛ المواد الأدبية والعلوم الرياضيّة، وكان معلم النحو يتولى التدريس في تلك المرحلة، وتستمر الدراسة فيها نحو ست سنوات. والمرحلة الثالثة هي مرحلة التعليم العالي، تستمر إلى ما بعد العشرين، وفيها يختار الطالب دراسة الخطابة أو الفلسفة².

كما أوصى بلوتارخوس الآباء بآلا يغفلوا عن التدريبات الرياضيّة في تنشئة أبنائهم؛ فالقوة البدنية والصحة هي ذخيرتهم عند الكبر، لذلك يطالب الآباء بأن يهتموا بإرسال أبنائهم إلى المدربين الرياضيين، وذلك لأهمية الرياضة في إعداد الشباب لخدمة روما في الحرب والسلم³.

ويمكن إجمال آراء بلوتارخوس هذه، حول أهميّة تعليم الآباء لأبنائهم، بعدة أسس يأخذها الآباء الرومان على عاتقهم في تعليم أطفالهم، في المراحل العمرية المختلفة، ومن أهم هذه الأسس:

1- إن تعليم الأبناء وتوجيههم إلى الطريق القويم يجب أن يتمّ بالتشجيع، وليس بالضرب والمعاملة السيئة؛ لأن الضرب لا يليق بأبناء الأحرار، وإنما هو خليق بالعبيد، ويؤثر في نفسية الأبناء، ويشعرهم بالذل والمهانة.

¹ Plutarch., 4.7.A.

² Ibid., Mor, 4.6.A.

³ Ibid., 4.7.A.

2- يجب عدم الضغط على الأبناء، وعدم تحميلهم ما لا يحتملون الواجبات، فقد لاحظ بلوتارخوس أن بعض الآباء نتيجة حبهم الشديد لأبنائهم، وحرصهم على تفوقهم، يلقون عليهم من الأعباء ما يعجزون عن القيام به؛ مما يشكّل خطراً على نفوسهم، فهم يشعرون بالإخفاق والإحباط حينما يخفقون في تحصيل ذلك الكم الهائل، فالعقل ينمو ويتطور بكميات معتدلة من المعلومات، أما الكميات الكبيرة من المعلومات فتجعله يرتبك ويتشتت؛ لذا فمن الضروري أن يعطى الطفل وقتاً للراحة¹.

3- ويطالب بلوتارخوس الآباء بمتابعة أبنائهم، لمعرفة مدى ما يحصلونه من علم على أيدي مدرسيهم، فقد لاحظ بلوتارخوس إخفاق بعض الشباب في الدراسة، رغم وجود معلم كفء، وعزا ذلك الإخفاق إلى انشغال الآباء وعدم متابعتهم لدراسة أبنائهم، حيث إن كثيراً من الآباء قضوا سنوات عدّة في فرق الجيش التي كانت تقوم بحملات خارجية؛ لمدّ النفوذ والسيطرة الرومانية على أصقاع مختلفة من العالم، والبعض الآخر انشغل بالحياة العامة، ولم يهتم بمتابعة أبنائه².

4- كما نصّح بلوتارخوس الآباء بأن يبعدوا أصحاب السوء عن أبنائهم؛ لأن أصحاب السوء سوف يؤثرون في الأبناء، وينقلون إليهم بعضاً من سوء خلقهم. كما نصّح الآباء بأن يسلّموا ببعض العيوب أو أوجه النقص في أبنائهم، وأن يكونوا المثل والقوة الحسنة لأبنائهم، مما يجعل الأبناء يأتمرون بكل ما يأمرونهم به، وينتهون عن كلّ ما ينهونهم عنه³.

تلك هي الأفكار التي طرحها بلوتارخوس حول طرق تعليم الآباء لأطفالهم في روما، تلك الطرق التي تتوافق مع واقع مجتمعه إذ كان من رأيه توخي الدقة والحذر في اختيار الحكايات

¹ Plutarch, Mor, 9.13.D.

² Ibid., 9.13.E.

³ Ibid., 9.14.F.

التي تحكى للأطفال؛ باعتبارها المدخل الأول في دنيا الثقافة وعالم المعرفة بالنسبة للطفل، ولكونها وسيلة تربوية وتعليمية تسهم في غرس القيم والمثل العليا في نفوس النشئ¹، وأيضاً ضرورة اختيار المربين ذوي الخلق السليم؛ نظراً لتأثيرهم في حياة الطفل أخلاقياً، وطالب الآباء بضرورة اختيار المفردات التي يستخدمونها مع أطفالهم، لوجود علاقة وثيقة بين الكلمة والسلوك، فعلاقة الآباء بالأبناء فيها قدر كبير من التأثير والتأثر المتبادلين، إذ إن الطفل كائن حي يتأثر ببيئته، كما يتأثر بالصفات الوراثية، بيد أنه كائن يقبل التوجيه، وخير وسيلة للتوجيه برأيه أن يكون الآباء قدوة لأبنائهم².

ثانياً: التربية والتعليم في العصر الجمهوري (509 - 27 ق.م):

1- ظهور المدارس في روما:

من المرجح أن القراءة والكتابة لم تكونا معروفتين في إيطاليا القديمة حتى القرن العاشر قبل الميلاد، ويسود الرأي القائل أن اليونانيين الذين هاجروا إلى إيطاليا في حوالي القرن الثامن قبل الميلاد، هم الذين نشروا تعليم القراءة والكتابة، فحتى القرن السادس كان عدد الذين يعرفون القراءة والكتابة في روما قليلاً، كما أن الكتابة كانت محصورة في أمور محدودة كتدوين الوثائق القانونية والدينية المهمة³.

ويستدل مما جاء في بعض المؤلفات الكلاسيكية على أنه كانت هناك مدارس قليلة

جداً في إيطاليا، حوالي القرن الرابع والثالث قبل الميلاد، وأن معرفة القوانين الاثني عشر⁴

¹ plutarch., 11.14.C.

² Ibid., 11.14.D.

³ Davidson, Thomas, (1900), p. 85.

⁴ الألواح الاثني عشر: إن أول معلم كبير للقانون الروماني هو قانون الألواح الاثني عشر الذي جاء في مرحلة كانت تمر بها الدولة بطروف صعبة تمثلت بالنزاع القائم بين العامة والأشراف الذي بدأ أوائل العصر الجمهوري، وقد جاء هذه القانون تعبيراً عن عدم رضا العامة عن العدل والقضايا القانونية، فقد كان العامة يجهلون الأحكام القانونية والقواعد العرفية لأنها كانت غير مكتوبة، وكانت تحفظ من قبل الكهنة ورجال الدين والأشراف وكانت هذه القواعد غامضة بالنسبة للعامة بسبب سلطة فئة قليلة من رجال الدين في تفسير وتطبيق هذه القواعد القانونية حسب مصالحهم، وهذا ما ضاعف تعسفهم في تطبيق العدالة فقط لصالحهم على حساب العامة، من هنا تعالت الشكاوى العامة تطالب بوضع قانون يجمع القواعد العرفية ليزول معه الشك والغموض وينهي احتكار رجال الدين

كانت مفروضة على كل المواطنين، حتى إن هذه القوانين استعملت للقراءة والكتابة، وكانت هذه وسيلة سهلة لتعليم المواطنين الرومانيين ما لهم من حقوق وما عليهم من واجبات، وكانت حقوق المواطن الروماني خمسة هي حق الوالد على أولاده، وحق الزوج على زوجته، وحق السيد على عبده، وحق الرجل الحر على رجل آخر يكون قد تعاقد معه ولم يوف بحقه، وحق الفرد على ما يمتلك. أما واجبات الروماني فقد تفرعت مما له من حقوق، لذلك كان لابد لكل روماني من أن يعرف القوانين الاثني عشر حتى يصبح مواطناً صالحاً¹.

وقد اختلفت آراء المؤرخين حول نوع المدارس التي نشأت في إيطاليا في ذلك الوقت، وفيما كانت عليه حال المدارس من كونها عامة أو خاصة. ولكن من المرجح أنه كانت هناك مدارس نشأت لتعليم القراءة والكتابة، حتى تمكن كل فرد من الإلمام التام بما جاء في القوانين الاثني عشر، وبعد أن تُرجمت الأوديسة (لهوميروس)² إلى اللغة اللاتينية، حلت الأوديسة محل القوانين الاثني عشر، وأصبحت المادة التي يتعلم منها الناس القراءة والكتابة، وكان الرومان على وجه العموم يقدرّون التعليم عن طريق الخبرة الشخصية في الحياة، ويعتبرونه أفضل وأنفع من التعليم المدرسي³.

والأشراف لحفظ القانون وتطبيقه، فكانت الألواح الاثني عشر فاتحة لمرحلة جديدة في تطور القانون الروماني، وكان تدوينها إعلاناً باستقلال القانون عن الدين وفك السيطرة من قبل الأشراف على توزيع العدالة واحتكار تفسير القواعد القانونية، وقد اعتبره الرومان منبعاً للقانون كله سواء القانون العام أو القانون الخاص، وقد جاء اقتراح وضع قوانين الاثني عشر من أحد محامي العامة الذي اقترح تأليف لجنة من خمسة أعضاء تعهد إليها قوة القنصلين وتحدد صلاحياتها، ولوضع مجموعة شاملة تدون فيها على وجه الدقة جميع القواعد العرفية والأحكام المعمول بها. انظر: يحيى، مصطفى المبشر، تاريخ القوانين (القانون الروماني)، 2002، ص 47.

¹ Davidson, Thomas, (1900), p. 85.

² الأوديسة: من أهم الأساطير اليونانية جاءت ضمن قالب شعري، وقد سميت الأوديسة نسبة إلى بطلها الأساسي أوديسيوس Odusseus، تنقسم إلى أربع وعشرين قصيدة، وتتناول ما لحق بأوديسيوس أحد أبطال حرب طروادة من الإغريق أثناء عودته إلى موطنه إيثاكا (على الساحل الغربي لبلاد اليونان)، من مغامرات تعرض لها حتى استطاع العودة إلى وطنه بعد عشرين عاماً واستعادته لعرشه الذي طمع فيه الطامعون أثناء غيبته الطويلة في طروادة. للمزيد من المعلومات انظر:

شعراوي، عبد المعطي: (1982)، ص 12.

³ Davidson, Thomas, (1900), p. 93.

2- الفلسفة اليونانية وتأثيرها على الفكر والتعليم والتربية الرومانية:

إن نتاج الحرية الواسعة التي سمحت بها أثينا كان سبيلا لإنتاج سلسلة من الفلسفات التي وجدت مصدرا عاما لها في مناقشات الرواقيين، الأبيقوريين، الشكاك، أنه لمن الممكن القول دون تردد أن جهود الفكر المتمثلة لهذه الأسماء كان لها أثر في تقدم الإنسان أعمق من أي حركة فكرية أخرى. حيث هدفت تعاليم الأبيقوريين والرواقيين والشكاك إلى تأمين السلم وهداية النفس، كما كانت المدرسة الأبيقورية ذات اتجاه معارض للدين الوثني وساهمت هذه الفلسفة في تحرير عقول الناس من الخوف، أما المدرسة الرواقية فقد أسهمت بصورة ملحوظة في قضية الحرية، فأقرت الرواقية حقوق الفرد ضد السلطة، وكيف يمكن للقوانين أن تكون ظالمة وأن الشعوب قد تخطئ. كانت هذه المدارس هي معبر بين الإغريق والرومان، وانتشرت انتشارا واسعا في روما.

أ- المدرسة الرواقية:

كانت الرواقية أبرز التيارات الفلسفية التي جاء اسمها نسبة إلى الرواق المنقوش الذي كانت أعمدته مزدانة بنقوش من ريشة الرسام بوليغنيوس¹ في بلاد اليونان، وكان زينون² أول من قام بتعليم مبادئ الرواقية حوالي سنة 300 ق.م، وكانت هذه الفلسفة في سماتها أكثر تدينا من أي فلسفة يونانية أخرى، فقد جاءت العالم بقوة أخلاقية جديدة، ووضعت التأمل العقلي خلفية لها، وجاءت بوجهة نظر أخلاقية للسيطرة على السلوك وتقويمه، وقد مرت الفلسفة الرواقية بمراحل عديدة ساهمت في تقسيمها إلى:

¹ بوليغنيوس: رسام يوناني عاش في أوائل القرن الخامس ق.م. انظر: أمين، عثمان: الفلسفة الرواقية، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1971م، ص46.

² زينون: ولد في عام 336 ق.م، تلقى تعاليمه الفلسفية على يد العديد من أساتذته أمثال أقرطيس الكلبي أكسينوقراط، وكانت هذه التعاليم كافية ليبدأ التعبير عن فكره في مجلس التعليم يكون خاصا به، وقد فعل ذلك بالرواق المنقوش الذي اتخذته مقرا لاستقبال تلاميذه والحديث إليهم، وقد عرفوا نسبة إلى هذا الرواق بـ "رجال الرواق" أو الرواقيون، وقد ترك زينون العديد من المؤلفات أهمها: الواجب، الجمهورية. انظر: أمين: (1971)، ص48.

- أولاً: الرواقية القديمة أو الرواقية المبكرة:

وتمتد هذه المرحلة من عام 331 ق.م إلى 204 ق.م، وهي الفترة التي شهدت تأسيس المدرسة على يد زينون، وتطورها على يد تلميذه كليانثس¹ Clenthes واختتم هذه المرحلة كريسيوس² Chrysippus الذي أعاد بناءها بعد أن كادت تنهار في عصر أستاذه كليانثس.

- ثانياً: الرواقية الوسطى:

امتدت طوال القرنين الثاني والأول قبل الميلاد، وكان أهم أعلام هذه المرحلة بانائتوس³ "Panaetius" الرودسي، وبوسيدونيوس "Posidonius"⁴.

- ثالثاً: الرواقية المتأخرة أو الرواقية الحديثة:

انتشرت الرواقية المتأخرة من القرن الأول الميلادي حتى إغلاق المدارس الفلسفية اليونانية في عام 529م. إلا أن فترة ازدهارها كانت في القرنين الأولين للميلاد فحسب، وقد كان أهم أعلامها وأشهرهم سينيكا⁵ Seneca، أما أبرز الشخصيات التي اعتنقت الرواقية الامبراطور ماركوس أوريليوس أنطونينيوس Marcus

Aurelius Antoninius⁶.

¹ كليانثس Clenthes: ولد عام 331 ق.م وقد كان يعمل في بداية حياته مصارعاً أو ملاكماً. وقد جاء إلى أثينا والتقى بزينون ودرس على يديه الفلسفة، وأدى دوراً مهماً في تدعيم المذهب الرواقي وبذل جهداً في حفظ التعاليم الرواقية والتنسيق بين أجزاء المذهب الزينوني، ومن أبرز مؤلفاته عن الفضائل of Virtues، عن الحب of love، عن الشهرة of fame. انظر: أمين، عثمان: (1971)، ص 62-63.

² كريسيوس Chrysippus: ولد في قبرص عام 282 ق.م، ويعد من أهم فلاسفة الرواق، يعتبره البعض المؤسس الثاني للمدرسة الرواقية وكان له الفضل في الدفاع عن المدرسة الرواقية ضد هجمات منتقديها، وجمع شمل التلاميذ الرواقيين وزيادة الإقبال عليها، وصاحب الإسهام الأكبر في تأسيس المنطق الرواقي. انظر: أمين، عثمان: (1971)، ص 67.

³ بانائتيوس Panaetius: عاش بين عامي 185-109 ق.م، ولد في جزيرة رودس في أثينا ودرس في أثينا لبعض الوقت ثم عاد إلى روما وعرف باهتمامه بالفلسفة، حيث ترجع أهميته في الفكر الرواقي بأنه بدأ سلسلة من التعديلات مع الفكر الرواقي التقليدي، فأصبحت الرواقية معه أكثر اقتراباً من الإنسان. للمزيد من المعلومات انظر: كويستون، فردريك: (2002)، ص 559.

⁴ بوسيدونيوس Posidonius (135-50 ق.م): سوري الأصل غادر موطنه متجهاً إلى الغرب اليوناني، ثم استقر في رودس عام 97 ق.م، ثم وفد إلى روما كسفير ونجح في كسب صداقات عديدة مع الكثير من عظماء روما، كما اشتهر بموسوعيته الشاملة، فكان عالماً جغرافياً واهتم بالكثير من فروع العلوم الطبيعية، وعرف أيضاً بتأملاته الفلسفية. للمزيد من المعلومات انظر: أمين، عثمان: (1971)، ص 78.

⁵ سينيكا Seneca: يختلف المؤرخون في تحديد العام الذي ولد فيه سينيكا، ويحصرونه بين (4-1 ق.م)، تلقى العديد من دروس النحو والخطابة، وتنقسم مؤلفاته إلى أعمال نثرية يغلب عليها الكتابة في الأخلاق، وله أيضاً أعمال شعرية مسرحية. للمزيد من المعلومات انظر: أمين، عثمان: (1971)، ص 230.

⁶ ماركوس أوريليوس أنطونينيوس Marcus Aurelius Antoninius: ولد في روما عام 121 م لأسرة من أصول إسبانية، يعد من أشهر فلاسفة الرواقيين نظراً لمكانته الرواقية بين أباطرة روما فهو الامبراطور الفيلسوف الذي نجح من خلال حكمه في تحقيق دولة مثالية. للمزيد من المعلومات انظر: ديورانت، ول: (2001)، ص 424.

كان العصر الذي شهد ظهور الرواقية الرومانية عصراً شديداً التعقيد والانحلال؛ فقد فرضت فيه على الحرية أضيق الحدود، وتحررت فيه الحياة من كل قيد، حيث ازدهرت الفلسفة إلى جانب الفسق والفجور، ففي ظل هذه الظروف كان الآباء يرسلون أبناءهم وكثيراً ما كانوا هم بأنفسهم يذهبون ليستمعوا إلى محاضرات رجال يعرضون عليهم قانوناً عقلياً للأخلاق الصالحة، أو ستاراً رسمياً للشهوات المكشوفة¹.

لقد شكلت الفلسفة إذن في هذا العصر عزاء للناس عن كل ما يعانونه من قلق واضطراب على الصعيد العملي، ولقد كان فلاسفة الرواق يمثلون القدرة الأخلاقية، والمثل الأعلى في السلوك الراقي للإنسان الفاضل، بما لهم من فضائل شخصية وسير طيبة.

وكما هو معروف عن الرومان أنهم غير شغوفون بالعلوم النظرية؛ لأنهم عمليون يميلون إلى النظام والحكومة والقانون. وتجردت الفلسفة الرواقية من المنطق القديم الذي كانت اللباقة والالتفاف حول الأمور سمته الأساسية، ولم يعد أحد يذكر فلسفة المنطق والطبيعية إلا فيما ندر، وأصبحت الفلسفة الرواقية لدى الرومان فناً جديداً يتسم بالمرونة وتحليل طبيعة الإنسان، وما يصدر عنها من فترات ضعف وقوة بدقة بالغة، وتقديم العلل لذلك، كما أدخلت سبلاً لمعالجة أمراض النفوس، ونظرت نظرة واقعية في مختلف مراتب الكمال ووسائل بلوغها، وأبرزت شعوراً دينياً يعبر عن مطامح البشر وهواجسهم².

وهكذا أصبح الرواقي في روما مرشداً وهادياً بعد أن كان في أثينا معلماً أو مدرّساً، ولقد انتشر المرشدون والهداة من الرواقيين في المدن الرومانية، فضلاً عما كانوا معروفين من

¹ أمين، عثمان: (1971)، ص 176.

² Vernon, Arnold, (1958), p. 125.

الرواقيين الكبار، وكان هؤلاء الرواقيون يؤدون مهمتهم في نشر الأخلاق الرواقية، التي اختاروها هم أنفسهم بصفة شخصية¹.

كما بنّت الرواقية مبادئها السمحة في القانون الروماني، فجعلت من ذلك القانون الطبيعي والقانون الفلسفي كما يتصوره العقل، قانوناً للإنسانية يمكن أن تتخذه الشعوب المتمدنة جميعها قانوناً عاماً، وذلك بضل المبادئ السمحة التي أدخلت في هذا القانون، وخير مثال على ذلك هو مجموعة القوانين المعروفة باسم Institutes والتي وضعها الامبراطور جستنيان عام 533 ق.م، متخذة من مبادئ الرواقيين مرشداً، ومستخدمة منهم في صياغة عبارات مبادئ قانون الطبيعة، وقانون الأمم (العشائر)، كما يبدو أن قواعد التشريع الروماني إن لم تكن مشتقة من فلسفة رواقية، فهي على الأقل ملائمة لصميم أخلاقها ومبادئها؛ وهي أن يحيا الإنسان على مقتضى ما هو فاضل، وعلى هذا فالأخلاق هي قانون الإنسان الفردي، وقد اعتبرت أساساً للحق نفسه الذي أصبح قانون الإنسان في الجماعة².

كما تتضمن هذه القواعد مبدأ عدم الاضرار بالآخرين، ويركز هذا المبدأ على علاقة الناس بعضهم بعض، حيث تنص على ألا يؤدي أحدٌ غيره؛ أي أنها تنص على وجوب احترام الإنسان لأخيه الإنسان، وعدم الاعتداء على شخصه الذي يشمل حريته وسمعته وحياته، وأخيراً يأتي مبدأ إعطاء كل ذي حق حقه، ويهدف إلى رد الحقوق إلى أهلها، مما يعني احترام الملكية واحترام قواعد الالتزام وواجبات العدالة قبل الناس جميعهم، بحسب استحقاق كل واحدٍ أو عدم استحقاقه³.

وكان في مزج الرواقية بالتشريع انتصار للروح اليونانية على الروح اللاتينية، وإيثار لفكرة الإنصاف على صرامة القانون، وتغليب لأساليب اللين على أساليب العنف والشدّة، وجمع بين

¹ أمين، عثمان: (1971)، ص 178.

² Vernon, Arnold, (1958), p. 130.

³ Ibid., p. 132.

فكرة العدالة وفعل الخير والإحسان، كما نُظِّمَت بفضل الرواقية العقوبات البدنية، وأصبح النظر في قضايا الرقيق من اختصاص المحاكم، وكذلك سُنَّت تشريعات أخرى تغلب عليها المسحة الإنسانية، ويقبلها العقل السليم، وكان من تلك القوانين ما يتصل بتنظيم حال الابن والزوجة والقاصر، فحدَّ التشريع الجديد من حرية الأب في استعمال القسوة مع الأبناء، ولم يعد الابن مملوكاً لأبيه، أو شيئاً من أشيائه كما كان من قبل¹.

وعلى ذلك فإن الفلسفة الرواقية قد تركت في التشريع الروماني آثار بعيدة المدى، وصبغته صبغة عقلية أخلاقية؛ فضمنت البقاء والدوام حتى أصبح مع شيء من التحوير والتعديل قانون الشعوب الحديثة والمختصرة.

كما برز تأثير الرواقية بشكل واضح في كل شؤون الحياة من خلال تعاليمها، فأوصت بأن يعامل الناس بعضهم بعضاً معاملة الإخوان، إذ إن الناس على اختلاف ألوانهم وشعوبهم، تجمعهم وحدة العقل والجوهر، فواجب التعاون وحس المعاملة يقتضي الوئام والاتحاد، وأن يتحصن الإنسان بالبساطة والتواضع، وأن يكون طيباً، نقيّ السريرة، جاداً، عدوّاً للزهو والجاه، صديقاً للحكمة والعدالة، متمسكاً بأداء الواجب. كما حثت الرواقية الإنسان على الصبر على البلوى، لأنها زائلة بسرعة، وأوصت بأن يستفيد الإنسان من وقت الفراغ، وعدم قضائه فيما لا ينفع، وأوصت بأن ينظر الإنسان فيما يفعل جيداً².

¹ م. ب. تشارلزورن: (1999)، ص 102.

² نفسه، ص 103.

ب: الفلسفة الأبيقورية:

تنتسب الفلسفة الأبيقورية إلى مؤسسها أبيقور¹ (341-270 ق.م)؛ وهو أثينيّ الأصل، درس في آسيا الوسطى عدّة سنوات، وعاد إلى أثينا، أسّس مدرسته في بيته عام 306 ق.م، وكان يلتقي تلامذته وأصدقائه في حديقة بيته؛ فسُمّوا "فلاسفة الحديقة".

ركز أبيقور في كتاباته على الحياة العملية، واعتبر أنّ المعرفة الحقيقية هي المعرفة الحسية التي ترسخ في الذاكرة، وأنّ الشعور باللذة والألم هو المعيار الحقيقي لقياس ما يجب وما لا يجب أن يكون، وهذا للوصول إلى هدوء النفس.

ويرى الأبيقوريون أن لا حياة بعد الموت، لذلك يجب على الإنسان أن يتحرر من خوف الآلهة؛ لأنها صورية وسلبية، ولا دور لها في حياة البشر، وهي تعيش في سعادة كاملة، والآخرة أمر خرافيّ، والجزاء والعقاب أكلوبة، فالمهمّ بالنسبة للإنسان هو البحث عن السعادة الدنيويّة، والسعادة تتحقّق بالوصول إلى اللذة، وهي ثلاثة أنواع:

1- اللذة الطبيعية المعلقة بالأكل والشرب؛ تفادياً لألم الجوع والعطش.

2- اللذة الطبيعية غير الضروريّة: مثل تكوين الأسرة، والتمتع بالأكل الشهي.

3- اللذة الطبيعية: وهي لذّة اكتساب المال وجمع الثروة².

على خلاف ما يعتقد الكثير، فإن أبيقور اعتبر اللذة العقلية أعظم اللذات، ولذّة الصداقة أعظم لذات العقل، كما أنه دعا إلى الاعتدال في تلبية الحاجات، وفضّل الهروب مما يسبّب اضطراب النفس والآلام الجسدية على تحقيق اللذة³. كما

¹ أبيقور: ولد في ساموس وهي جزيرة لا تبعد كثيراً عن الساحل الأيوني في حوالي عام 341 ق.م، أظهر أبيقور منذ صباه ميلاً واضحاً نحو الفلسفة، فحين بلغ عامه الثلاثين، كان قد تبلور لديه معالم رؤية فلسفية جديدة، فأسس لأول مرة في حياته مدرسة في مدينة ميتيلين Metelene بجزيرة لسبوس. للمزيد من المعلومات انظر: بران، جان: (1992)، ص 39.

² صليبا، جميل: (1982)، ص 34.

³ المرجع نفسه، ص 36.

يرى أبيقور أن الدولة هي نتاج عقد بين أفراد يهدف إلى تحقيق العدالة، والأمر ليس كما تصوّره أفلاطون¹ وأرسطو²؛ أي أن الانسان اجتماعي بطبعه، فأصل قيام الدولة هو المصلحة، ولا يهتم نوع النظام القائم ما دامت المصلحة قائمة؛ لذلك تركت الأبيقورية الباب مفتوحاً أمام المواطنين للمشاركة في شؤون السياسة أو عدم المشاركة فيها، بل اعتبرت الحكمة في ترك السياسة؛ فالحكماء والأذكىاء هم من يبتعدون عن السياسة ومآسيها، ويعيشون حياة هادئة ومستقرة³.

وربط الأبيقوريون العدالة باللذة؛ فلا وجود لشيء عادل بطبيعته، فالعدالة هي "الميثاق النفعي" الذي يعقده الأفراد؛ فكل ما يتفق الجماعة على أنه مفيد وجانب للمنفعة، هو من صلب العدالة، فالنظام العادل هو النظام الذي يعترف الناس بأنه مفيد للعلاقات الاجتماعية.

ويمكننا القول إن الأبيقورية نشأت كرد فعل على واقع اجتماعي، عرف أزمت كثيرة مثل انتشار الفوضى، وعمّ فيه القلق، فصار فيه الإنسان يخشى شرّ غيره، فكان على الطب والفلسفة مهمة إصلاح الواقع، فتكفل الطب بإصلاح علاج الجسم، وكان على الفلسفة أن تعالج أمراض الفكر، حيث تتمثل الفكرة الأساسية في فلسفة أبيقور الأخلاقية أن اللذة هي الخير الأسمى، وهي غاية الحياة السعيدة، ويتأسس تصور أبيقور للسعادة على تصوّره للإنسان؛ فباعتبار أن الإنسان

¹ أفلاطون: كان أفلاطون أرسقراطي المولد، وقيل أنه كان كثير الأسفار، فقد زار في أسفاره مصر وصقلية، وإيطاليا وغيرها من البلدان وقد وضع الكثير من الكتب أهمها كتاب القوانين والجمهورية، اللذان يعتبران أهم الكتب في علم الاجتماع والتربية. للمزيد من المعلومات انظر: شعراوي، عبد المعطي: (1982)، ص 15.

² أرسطو (384-322 ق.م): كان أرسطو تلميذاً لأفلاطون فتأثر بفلسفته وآرائه إلى حدّ ما، واعتبر من أعظم المفكرين القدماء، وقام بتدريس الاسكندر الأكبر، وأسس مدرسة الفلسفة الشهيرة المسماة الليسيوم في أثينا، كما يعتبر من أوائل العلماء الذين بحثوا في العلوم بحثاً دقيقاً مبنياً على المشاهدة والاستنتاج، فقد درس أرسطو علم الحيوان دراسة علمية ودون مشاهداته واستنتاجاته في كتبه. للمزيد من المعلومات انظر: شعراوي، عبد المعطي: (1982)، ص 20.

³ صليبا، جميل: (1982)، ص 38.

جسد ونفس، فإن سعادته تكمن في تحقيق الخير الملائم لطبيعة كليهما، والخير الملائم لطبيعة الجسد إنما هو اللذة، أما الخير الملائم لطبيعة النفس هو الطمأنينة.

إن إن المقياس الذي تقاس به خيريّة الفعل أو شرّيته لهو اللذة والألم، فيكفي أن تشاهد سلوك الإنسان في أدوار حياته كلها، من ميلاده حتى موته، لتجده يرمي إلى تحصيل اللذة والابتعاد عن الألم¹.

وخلاصة القول إن الأخلاق الأبيقورية هي طائفة من التوجيهات تحاول التوفيق بين اللذة والطمأنينة، ولهذا صور خصوم الأبيقورية الأبيقوريين في صورة فسّاق وفجرة لا يردعهم عن شهواتهم رادع، لكنّ بعض الدارسين يقرّون بالسموّ الأخلاقيّ للتعاليم الأبيقورية، ومنهم عبد الرحمن بدوي، إذ يقول: "وهكذا نجد أن الأخلاق الأبيقورية، إن كانت قد بدأت بمبدأ يخيّل إلى المرء أنه حسي نفعي مادي وضع، فإنها على العكس من ذلك، قد انتهت بأخلاق سامية كلّ السموّ، لا تقل في نقائنها وسموّها عن الأخلاق المثالية التي نادى بها أفلاطون"².

ج- المدرسة الشكيّة:

يعتبر بيرون³ مؤسس أول مدرسة شكية، وهي المدرسة البيرونية The Pyrrhonian School، وقد استهدفت هذه المدرسة تحقيق الغايات العلمية، وقد درج الفلاسفة قبل بيرون على التسليم بإمكانية أن نصل بصفقتنا بشراً إلى إدراك حقيقة الأشياء بأدواتنا المعروفة كالحواس والعقل، لكنّ الحقيقة الوحيدة التي توصّل إليها بيرون، بعد طول

¹ صليبا، جميل: (1982)، ص 39.

² بدوي، عبدالرحمن: موسوعة الفلسفة، ج 1، ص 86.

³ بيرون: ولد حوالي عام 360 ق.م، عمل رساماً في بداية حياته، ثم درس على يد بريسون Pryson، ابن استبلون الميجاري، حيث تعرف على التعاليم الميجارية، وقد استلقت التعاليم الفلسفية انتباهه، ثم أسس المدرسة الشكية التي كان هدفها تحقيق الغايات العلمية. للمزيد من المعلومات انظر: كويلستون (ف): (2002)، ص 549.

تأمل كلّ ما قدّمه الفلاسفة السابقون من آراء، هي أننا لا يمكننا بوصفنا بشراً الوصول إلى أي حقيقة ثابتة حول أي شيء.

لقد كان بيرون أكثر جرأة من سابقه في اختلافهم حول طريق الوصول إلى الحقيقة، حينما شكّك في حول إمكانية المعرفة بقوله: "كيف بإمكاننا أن نقطع بشيء أيّاً كان؟ وبصفة خاصة كيف نستطيع معرفة حقيقة الأشياء؟ ألا نلاحظ ضروب التناقض في إدراكاتنا الحسية، وفي آرائنا، وفي عاداتنا؟ إن ضروب التناقض هذه تؤكد لنا، في واقع الأمر، استحالة المعرفة؛ ولذلك فإننا إذا كنا صادقين مخلصين فلن نقول: إن هذا حقّ، بل نقول: إن هذا يجوز أن يكون حقاً"¹.

لقد امتدت الحالة المعرفية التي عبّر عنها بيرون إلى التأثير في المجالات العملية للحياة البشرية، ولا سيما في مجال الخلاق؛ حيث امتدت النزعة الشكّية إلى تعليق الحكم الخاص بالخير والشر، فلم يعد شيء خيراً بذاته، فلا شيء بذاته شرّ قبيح، ولا شيء في ذاته خيرٌ وجميل، فإن الرجل الحكيم هو الذي يستهدف ببساطة طمأنينة نفسه، ويحاول أن يحتفظ بهدوئه وسكينته، فالإنسان اللامبالي، بهذا المعنى المتضمن التوقف عن الحكم سينبذ كل الرغبات؛ ففي حياته تستوي الأشياء كلها، إنه سيعيش في سكون تامّة، وفي راحة نفسية، متحرراً من كل الرغبات والأوهام²، والناس في رأيه يناضلون ويتقاتلون حتى يحققوا ما يرغبون فيه، ويفترضون أن هناك أشياء أفضل من غيرها؛ حيث إن كل الأشياء بلا أهمية، وهي جميعاً سواء، ولا شيء يهم، فالصحة والمرض والحياة والموت أشياء لا اختلاف كبير بينها،

¹ Diogenes, I, 9, f.

² سارتون، جورج: (1970)، ص 361.

فطالما أن الإنسان مضطر إلى أن يسلك طريقه في الحياة، فإنه سيسير وفقاً للاحتمال والظنّ والعادة، ومن دون أن يكون مؤمناً، كما هو شائع، بالصدق الجوهرى لهذه المعايير وحقيقتها¹.

ومن أبرز فلاسفة هذه المدرسة كارينادس² الذي يرى أن كل شيء غير مؤكّد، وليس ذلك بسبب الأشياء نفسها لأنّ لكلّ منها ماهيّة، وإنما لأنه ليس لدى الناس في رأيه وسيلة مؤكّدة للتمييز بين الحق والباطل؛ إذ ليس هناك أية علامة تساعد على تمييز الإدراكات الصادقة من الكاذبة، ومن ثمّ فإنه من الصعب أن يقرّر أن إدراكاً ما هو صادق، لكن منها مع ذلك ما يبدو أنه حقّ، ويحكم عليه بأنه محتمل لوجود مظهر الاحتمال، لكن لا يوجد علامة اليقين، وهذا يعني أن الإدراكات الصادقة حين تدخل عقولنا، لا تتميّز بأية علامة مميزة خاصّة³.

كما شغل كارينادس أيضاً بنقد الأفكار الرواقية في السياسة والأخلاق، حيث انتقد بشدة القول بما يسمى القانون الطبيعي، فهو يرى أن العدالة من وضع الإنسان، وليس هناك قانون طبيعي سابق وأعلى من الموصفات الإنسانية التي تختلف باختلاف الأزمنة والبلدان. ولو وجدت العدالة لكانت جنوناً مطبّقاً؛ لأن القانون الطبيعي لكل الأحياء هو السعي لما فيه مصلحتهم، وأقوى الشعوب، وفي مقدمتها الشعب الروماني، لا تحفل بالعدالة، وإلا لكان عليهم أن يعودوا كلّ البلدان التي استولوا عليها وأن يعودوا إلى أكوأخهم. وكذلك الأفراد مثل الدول يسعون لما فيه مصلحتهم لا إلى العدالة. إن هناك في رأي كارينادس مواقف، لا يكون المرء فيها عادلاً من دون أن في ذلك خطرٌ على حياته⁴.

¹ سارتون، جورج: (1970)، ص 365.

² كارينادس (213-139 ق.م): عاش في قوريناينة ثم غادرها في مطلع شبابه إلى أثينا وبدأ هناك مواهبه الخطابية، حيث كانت محاضراته يتابعها الخطباء، وقيل أنه قد اشترك في الوفد الذي بعث به الأثينيون إلى روما لإعفائهم من دفع غرامة عام 155 ق.م، للمزيد من المعلومات انظر: بدوي، عبد الرحمن: (د.ت)، ص 11.

³ سارتون، جورج: (1970)، ص 366.

⁴ بدوي، عبد الرحمن: (د.ت)، ص 17.

إن العدالة تأمر بعدم قتل الإنسان، وعدم الاعتداء على أموال الغير، وعلى هذا النحو شكك كارينادس في مفهوم الناس عن العدالة، سواء العدالة المدنية أو العدالة الطبيعية؛ فعدالة المدينة تتفق مع فهم المصلحة الخاصة. فكانت الأخلاق بشكل عامّ عنده، خالية من العمق والعظمة والادعاء، وهي متفقة في مجملها مع الحسّ العامّ، وفي متناول كلّ النفوس، وكلّ ألوان الشجاعة، ومن يتخذها لن يفعل شيئاً عظيماً، ولن يستحقّ الإعجاب ولا الإطراء، لكنه لن يفعل شيئاً أيضاً¹.

ثالثاً: الفلاسفة الرومان ودورهم في التعليم:

كان الهدف الأسمى من الوجود الإنساني، هو أن يحيا الإنسان منسجماً مع القوانين، وخاضعاً لها كلّ الخضوع، رابطاً حياته بها؛ لأنها هي التي تقرر مصيره وقدره، ومع تزايد الشعور الحقيقي بقيمة الإنسان ومكانته وسط العالم وتطور الأحداث والتغيرات السياسية والاجتماعية والفكرية، ظهرت مجموعة من الفلاسفة الذين جعلوا من الإنسان محوراً للبحث والدراسة، وحاولوا جاهدين أن يضعوا معالم الحياة الفاضلة وقواعدها على أسس ثابتة وراسخة؛ إيماناً منهم بأن الإنسان هو ذلك المخلوق الذي يتميز بالعقل.

ولكون الطفل يمثل الركن الأساسي في أي مجتمع، فإنه قد حظي بمكانة مرموقة وعالية عند فلاسفة الرومان وفي دراساتهم، وحرصوا على تقديم النصائح والإرشادات التي من شأنها إعداد الطفل ليكون مواطناً صالحاً، فاحتوت اللغة اللاتينية العديد من المفردات التي تعبر عن فترة معينة من حياة الطفل مثل: bimus التي تعني الطفل الذي يبلغ العامين من

¹ سارتون، جورج: (1970)، ص 368.

عمره، وكلمة *puerbimulus* التي تعني الطفل الرضيع، وتتغير المفردات التي تخص الطفل في كل مرحلة من تطور حياته¹.

شبه المفكرون الرومان حياة الإنسان بالخط المستقيم الذي يبدأ بنقطة تتمثل في الولادة، وتنتهي إلى نقطة أخرى تتمثل في الموت، والفارق الزمني بين هاتين النقطتين هو حياة الفرد التي قسموها إلى العديد من المراحل، مجمعين على أن مرحلة الطفولة التي تبدأ بالولادة وتنتهي عند البلوغ، هي أولى المراحل وأهمها في حياة الإنسان، كما قُسمت مرحلة الطفولة بدورها عند أغلب المفكرين إلى العديد من المراحل، وهي: مرحلة الجنين (مرحلة الحمل)، ومرحلة الرضيع (تدوم ثلاث سنوات)، ومرحلة الطفولة المبكرة التي تستمر إلى عمر سبع سنوات، ومرحلة الطفولة المتأخرة التي تنتهي بمرحلة البلوغ².

كما لم يُخلف المربون والكتاب الرومان نظريات تربوية مفصلة أو مبنية على فلسفات تأملية، كالتى خلفها فلاسفة اليونان وكتابهم ومربوهم، إلا أن بعض الكتاب الرومان، وبعض المهتمين بشؤون التربية والتعليم، قد بينوا آراءهم في التربية في بعض مؤلفاتهم، وكانت هذه الآراء في غالبيتها نصائح عملية ومبادئ يمكن تطبيقها لإصلاح طرائق التدريس، ونظمه المحلية التي أثبتت في تلك الأوقات، ومن أهم هؤلاء الكتاب والمربين:

1- كاتو الأكبر Marcus Porcius Cato (234 - 149 ق.م):

ولد ماركوس بوركيوس كاتو Marcus Porcius Cato سنة 234 ق.م، وانتُخب

رقيباً³ عام 184 ق.م، وقد أخذ على عاتقه إصلاح الأحوال الأخلاقية والاجتماعية التي بدأت

¹ B. Rawson: (2003), p. 136.

² ibid., p. 136.

³ الرقيب: وظيفة الرقم جزء من سلك المناصب العامة، أي أن صاحب هذه الوظيفة لم يكن متمتعاً بأي سلطة ملزمة، ولكنه عرفياً كان يتمتع بسلطات نافذة المفعول كالقانون تماماً، واختصاصات الرقيب كانت تقوم على مراقبة الأخلاق والوضع الاجتماعي والملكية، ومراجعة قوائم مجلس السناتو وحذف أسماء من يراهم غير جديرين بمسؤولية المنصب وترشيح أسماء جديدة بدلاً منهم، إضافة لحق الرقيب في مراقبة جميع الضرائب من الملتزمين والإشراف على تنفيذ عقود العمل التي تكون الدولة طرفاً فيها مثل بناء الطرق أو المشروعات العامة. للمزيد من المعلومات انظر: Brennant, T. Corey: (2000), p. 605.

تدهور في عصره، فحارب البذخ في المدينة، والابتزاز في الولايات، والمؤامرات اليونانية التي تسربت إلى الحياة الرومانية، وأشاعت الانحلال والفساد، هذا بالإضافة إلى كونه خطيباً بارعاً، وكاتباً قديراً ألف في علوم كثيرة كالتاريخ والزراعة والبلاغة، واشتهر بصلابته وصرامته ونزاهته¹.

تميّز كاتو بتمسكه بأخلاق السلف، وحرصه على الخلق الفضيل، وبسبب شدة إيمانه بالقيم الأخلاقية الرومانية، ودأبه على الهجوم على الفساد وسوء الإدارة والسياسات الخاطئة، فكان لديه قوة في الأسلوب، وثقة كبيرة فيما يصدر عنه من أقوال؛ حيث كان من أشد المعارضين للثقافة الإغريقية، وقد وصف الإغريق بالضعف والفساد، وعارض وجود بعثة الفلاسفة الإغريق في روما في عام 155 ق.م وطالب بطردهم فوراً؛ خوفاً منهم على الأخلاق والفضائل الرومانية التي تميز شخصية الرجل الروماني، وربما يرجع تخوفه الشديد من انتشار الثقافة اليونانية بين الرومان، إلى ما عرف عن الإغريق من مذاهب أخلاقية ولا سيما الفلسفة الأبيقورية، فقد كان واضحاً خوفه على الأخلاق الرومانية التي تميّزت بالجدية والصرامة والعملية الشديدة، من أن يفسدها هذا المدّ الفلسفي الواعد والجديد².

ولم يتوقف كاتو في أعمال ونصائحه عند هذا الحدّ، فهو دائماً يبيّن مقومات الشخصية من خلال قوله: "إن الروماني هو الرجل القويّ المقدم الفعّال"³، ويقول في فترة لاحقة ناصحاً ابنه: "إن الملمّات تروضنا وتعلّمنا السلوك الرشيد، بينما تضلّلنا الانتصارات عن سبل الرشاد"⁴، وهو بهذا يؤكّد خاصيّة واضحة في طبيعة الشعب الروماني، ولا سيما أهل روما وقادتها وساستها، وهي ذلك الإصرار والصلابة في المواقف مهماً يمكن أن يحدث من

¹ Davidson, Thomas, (1900), p. 145.

² Monroe, Pauli, (1922), p. 229.

³ Cato, 27. 22.7.

⁴ cato, 28, A.21.

نكسات وهزائم في المعارك، ولكن دونما استسلام للواقع، فكانوا يخرجون بدروس مستفادة من كل نكبة، ويعودون أكثر قوة، وأشدّ إصراراً على تحقيق النصر المبين.

كما أكد كاتو ضرورة غرس المبادئ الأخلاقية في المواطن الروماني، وتربيته تربية صحيحة من خلال النصائح التي قدّمها لأبناء الرومان، تتلخّص في الاحترام، والطاعة، والتواضع، واجتناب كل ما هو مخلّ بالآداب، فقد كان هو نفسه حريصاً على ألا يتفوه بلفظٍ بذئيٍّ أمام ابنه.

كما ترك كاتو لأبناء الرومان كتباً في التاريخ، حتى يعرفوا سيرة السابقين وأمجادهم، ويتخذوهم قدوة لهم، وليتعلّموا الواجب تجاه مدينتهم، ووطنهم بشكلٍ عامٍّ؛ ولهذا وجد كاتو ضرورة في تعليم الأبناء وتربيته على ما كان عليه السلف الصالح في أيام المجد الأول.

ولم تتوقف نصائح كاتو وإرشاداته عند هذا الحدّ، بل تعدّته إلى تربية الأبناء داخل الأسرة، لكونها حجر الأساس في الدولة الرومانية، والمنشأ الأول في غرس بذور التربية في الطفل؛ حيث تبدأ هذه النصائح بضرورة تعليم الأطفال القراءة والكتابة، من خلال إسناد هذه المهمة إلى عبد المنزل الذي يجب أن تتوافر فيه صفتا الذكاء والبراعة¹، وحرص كاتو على إلزام العبد بتوبيخ الطفل في حال كون تعلّمه بطيئاً، مع وجوب احترام العبد المعلم من قبل الطفل؛ نظراً لما يتجسّمه من عناء ومشقة في أثناء تعليم الطفل كتابة الحروف بأشكالها المختلفة؛ فضلاً عن تعليمه قصص التاريخ الروماني؛ حتى ينسجم الصبي مع تقاليد بلاده².

وفي المرحلة العمرية المتقدّمة للطفل، يؤكّد كاتو ضرورة ذهاب الطفل إلى نهر التيبر لتعليمه السباحة، سواءً كان ذلك في الصيف الحار أو في الشتاء البارد، إضافة إلى تدريب الطفل تدريبات متنوعة مثل ركوب الخيل، والملاكمة، ورمي الرمح لتقوية جسده.

¹ Gwyn, Aubrey, (1926), p. 11.

² Ibid., p. 12.

كما طالب كاتو الأهل بضرورة الجلوس مع أبنائهم في كل مساء، ليتعرف الأبناء على المبادئ الأساسية المتعلقة بالقانون الروماني؛ حيث يتبادل الأب والابن الأحاديث في هذه الجلسات، ويجب الأب عن تساؤلات ابنه كلها، ليستفيد الابن من معرفة أبيه وخبرته الطويلة¹.

2- شيشرون Marcus Tillius Cicero (106 - 43 ق.م):

ولد ماركوس تولليوس شيشرون Marcus Tillus Cicero عام 106 ق.م في إيطاليا، لأب من طبقة الفرسان، وكرّس نفسه للدراسة منذ الطفولة ليصبح فيما بعد أستاذاً في القانون، كما تفوق في دراسة الأدب والفلسفة والبلاغة؛ ولهذا ترك روما في عام 79 ق.م متجهاً نحو الشرق، حيث اهتم في دراسة الخطابة في أثينا، وعاد إلى روما في عام 77 ق.م، بعد غياب دام سنتين، واشتغل بالمحاماة في مستهل حياته، وأحرز بمرافعاته شهرة عريضة، وكسب صداقة عدد كبير من أقطاب عصره، واتخذ الخطابة سلماً لارتقاء مسرح السياسة².

هذا ويعتبر شيشرون من أهم الكتاب والمربين الرومان؛ وذلك لأن آراءه التربوية أثرت في طرق نظم التربية وطرقها في عصره، وقد كانت مؤلفاته هدفاً للتربية، واعتُبرت دراستها منتهى العلم والثقافة، فكان لقضية التربية والتعليم عند شيشرون أهمية كبرى، ولا سيما في كتابه "الجمهورية" الذي لم يقترح فيه نظاماً تربوياً بعينه لدولته المثالية، وإنما كان على بما يحيط بالأسرة الرومانية، فنجده يقول: "إن صديقنا بوليبيوس³ يشكو من إهمال مؤسساتنا

¹Ibid., p. 14.

² Zetezil, H.E.G.: (1995), p. 27.

³ بوليبيوس Polybius: هو مؤرخ يوناني عاش بين عامي (200 - 120 ق.م) أرخ لروما، ويعتبر تاريخه المكتوب باليونانية مصدراً عن تاريخ الجمهورية الرومانية منذ بداية الحرب البونية الثانية حتى منتصف القرن الثاني بعد معركة بيدنا pydna بين الرومان والمقدونيين بحوالي عام 166 ق.م. نقل بوليبيوس كرهينة مع عدد من الأشخاص من أبناء وطنه إلى روما، حيث قضى عدة سنوات في روما ودرس خلالها أخلاق الرومان ونظمهم. للمزيد من المعلومات انظر: عبد اللطيف أحمد، علي: (1970)، ص 16.

التعليمية¹، Polybius noster hospes nostarum instituorum Neglegntium
.accusat

لكن يبدو واضحاً أن حقيقة التجربة الرومانية التي عادة ما يذكرها شيشرون في جمهوريته تشير إلى أن الأطفال كانوا يتعلمون في محيط أسرهم، وعن طريق وضعهم في الأسرة، كما هو واضح من قوله: "إلا أن الذي تعلّم بالممارسة، أو من الدروس المنزلية، أفضل بكثير من الذي درس في الكتب"، "Usu tamen et domesticis Praeceptis
"multo magis eruditum quam litteris"².

كما أكد شيشرون أهمية التدريبات البدنية والثقافية للأطفال، تلك التدريبات التي يمكن من خلالها غرس المبادئ الأخلاقية، وتدريب الجسم لينضج العقل، وقد مدح شيشرون النظام التربوي في روما بصفته وسيلة لرفع مستوى المواطنين، فاعتبر التربية من أولويات اهتمامات الدولة، وربط بينها وبين الأنظمة الحاكمة؛ فالدولة تكون صالحة إذا كان ثمة قوانين وتعليم صالح، والدولة الصالحة هي التي تخرج مواطنين صالحين³.

وفي بداية الكتاب الرابع من الجمهورية، يعرض شيشرون آراءه الأخلاقية، وكيفية توجيه النشء وغرس المبادئ الأخلاقية فيه، مستنداً إلى العقل الذي هو أرفع منزلة، والذي هو من سمات الرجل النبيل فيقول: "حقاً إن العقل يبدو أعظم من الجسد بكثير" "Quidem
"tanto videtur, quanto praestabilion est animus corpore"⁴.

وقد كان التعليم والمشاكل الأخلاقية من أكثر القضايا وضوحاً في شذرات الكتاب الرابع عند شيشرون، كما تناول أيضاً تعليم الشباب، وغرس القيم والمبادئ فيهم، وتعريفهم

¹ Cicero, IV, III, 3.

² Ibid., XXII, 36.

³ باكر، أرنت: (1996)، ص 45.

⁴ Cicero, IV.I.1.

بالحقوق والواجبات تجاه قضايا عديدة، وتوارث عادات الأجداد وتقاليدهم التي طالما دعا إلى العودة إليها؛ ومنها احترام الأموات والبعد عن الممارسات الشاذة، مثل الإفراط في الحرية عن طريق إقامة علاقات غير مشروعة فيقول: "وكم كانت الاتصالات الجنسية والحب غير مقيدة وحرّة" *Quam contrectationes et amores solute et liberi!*¹.

وفي سبيل صلاح الأسرة، يحاول شيشرون أن يغرس المبادئ الأخلاقية في النساء؛ ليبعدهن عن القيام بالأفعال المشينة، ففي البداية نجده ينادي بوجود معلمين يعلمون الرجال كيف يعاملون زوجاتهم ليكنّ تحت سيطرتهم، ويبعدن النساء عن تناول الخمر حتى لا يفقدن صوابهنّ، كما أنه يطالب النساء بأن يتحلّين بالأخلاق الحميدة حتى لا ينفضّ عنهنّ الجميع، فيقول: "وحتى إذا كانت تلك المرأة ذات سمعة سيئة، فإنّ أقرّاءها لا يمنحونها (لا يقبلونها)" *Atque etiam si qua erat famosa, et cognate osculu non ferbant...*².

كما يتعرض شيشرون في جمهوريته أيضاً للعلاقة بين الرجل والمرأة؛ تلك العلاقة التي تنتهي بالزواج وإنجاب الأطفال، وهو يعني بذلك وحدة الأسرة في المجتمع الروماني، والحفاظ على الأسرة التي هي نواة للدولة، وهي فكرة تدعو إلى الاحترام؛ لأنها تخلق جواً من الاستقرار في الدولة، حيث تخضع الأسرة لسلطة الأب، فالأسرة هي المصدر الأساسي للحياة الخاصة، وهي المصدر الأساسي لاستقرار الدولة النموذجية التي أسست وبقيت خالدة³.

وفي منحى آخر في جمهورية شيشرون لا يعترف بالأعمال المسرحية (الدراما) ولا سيما الكوميديا، إلا في الناحية المنهجية فحسب، وهو ما يتّضح من كلماته الآتية: "ولا حتى

¹ cicero., IV.IV.4.

² ibid., IV.VI.6.

³ باكر، أرنست: (1996)، ص 79.

الكوميديا إلا إذا سمح (بعرض) العادات اليومية، وكان بإمكانهم عرض أعمالهم المخزية فوق خشبة المسرح¹.

ومن غير المعروف إلى أي حد أدرك شيشرون وظيفة الشعر المأساوي في التعليم، لكنه كان ناقدًا وهو يفترض تدريب الشباب على الموسيقى. وكان شيشرون يقدر الموسيقى حق قدرها، وهو ما يظهر في اقتباسه لقول أفلاطون إن التغير في أشكال الموسيقى المستخدمة في التعليم يماثل التغير في شكل الدستور، وهو ما يتضح من قوله: "ذلك أنه يذكر أنه لا يمكن تغيير القوانين الموسيقية من دون تغيير القوانين العامة"². "إنه يذكر أن تغير أحوال الدولة نتج عنه تغير ألحان موسيقاها"³.

ويمكن القول أن شيشرون يحصر التربية الموسيقية، في معرفة الأنماط التي تملك تأثيراً يعالج المشاعر والأحاسيس التي تحصن النفس من الخوف؛ ولهذا فإن نظريته السياسية في تدريب الشباب، والموجودة في شذرات الكتاب الرابع من الجمهورية، توضح بأنه يوصي بتعليم الشباب المبادئ الأخلاقية⁴.

كما كان لشيشرون مؤلفات عديدة، من أهمها كتاب "بروتوس Brutus"، "الخطيب Deoratoe"، ويعتبر كتاب "الخطيب" أهم مؤلف لشيشرون من الناحية التربوية. ولمّا كانت الخطابة أهم فن يصبو إلى إتقانه الرومان، فقد اهتم الكتاب والمربون بإعداد الخطباء، وقد وضع مؤلفه هذا بطريقة الحوار؛ بيّن فيه لماذا أصبح فن الخطابة الهدف الأسمى الذي ابتغاه

¹ cicero., III.XIV.32.

² ibid, III, XIV,.,33.

³ Ibid., III, XIV,.,34.

⁴ باكر، أرنست: (1996)، ص 53.

وراء التعليم، فيقول: "إن لباقة المدرسين اليونانيين في الكلام، وقدرتهم على التعبير عن رأيهم، وبلاغتهم في الحجّة، جعلت الرومان يتمنّون محاكاتهم في هذه الناحية"¹.

ثمّ يتكلّم شيشرون ويبين أسباب قلّة الخطباء الممتازين قائلاً: "إن الخطيب الناجح لا بدّ له من أن يكون غزير الثقافة، واسع الاطلاع، وأن يكون قويّ الذاكرة، ملماً بعلم النفس، حتى يمكنه من التأثير في مشاعر سامعيه بسهولة"².

وبالإجمال يجب أن يكون الخطيب نابغةً عبقريةً حسب رأي شيشرون، ملماً إماماً تماماً بالقوانين والفلسفات والهندسة والموسيقا وغيرها، وقد اعتبر شيشرون مهنة الخطابة من أنفع المهن، وألزمها لحياة الأفراد الخاصة وللحياة الاجتماعية العامّة³.

وكان لشيشرون آراء تربوية أخرى جاءت في بعض مؤلفاته المختلفة، ومن أهمّها رأيه في النشاط الجسماني للإنسان، فرأى أنّ تكوين جسم الإنسان يفوق تكوين جسم الحيوان؛ لأنّ الإنسان مزوّد بعقل إضافةً إلى الحواسّ، وهذا العقل قادر على التحكم بطبيعة الإنسان؛ لذلك اعتبر أن أي نجاح أو تقدّم عقليّ يفوق في قيمته أي امتياز جسماني؛ وعلى ذلك فإنّ رأيه في الرياضة البدنيّة والألعاب يجعلها من أنواع النشاط الكمالية، التي لا يقوم بها الفرد إلا بعد اكتمال أعماله العقلية المهمّة⁴.

وبالمقارنة بين ما طرحه شيشرون في كتاب "الجمهورية"، وما طرحه أفلاطون في كتابه "الجمهورية" تختلف الآراء، ففي جمهورية أفلاطون يعرض أفلاطون بادئ ذي بدءٍ نظريّته على أساس التقسيم الطبقي، حيث تقوم دولته على جانب مادّي يشمل طبقة المنتجين من الزراع والصنّاع وغيرهم، وجانب معنوي يشمل حراس الدولة من الجنود والحكام، رغم أنه

¹ Cicero, V.12.20.

² Ibid., V.12.22.

³ باكر، أرنست: (1996)، ص 53.

⁴ Zetezil, H.E.G.: (1995), p. 45.

أولى عناية خاصة بتربية الجند، باعتبارهم الحراس الأشداء الذين يجب أن يكتسبوا قدرًا معقولاً من المعرفة؛ حتى يستطيعوا التمييز بين المواطنين الذين يدافعون عنهم والعدو الذي يجب عليهم مهاجمته. ورغم تلك العناية التي أولاها أفلاطون لأفراد هذه الطبقة، وتربيتهم التربية الصالحة التي تمكنهم من أداء وظيفتهم في الدفاع عن الوطن على خير وجه، فإن عنايته كانت منصبة على تخريج من أسماهم الحكام والفلاسفة، لأن العقل، حسب التعبير الأفلاطوني، لا يتوافر له الكمال إلا لدى الحارس الكامل؛ أي لدى طبقة الحكام، ومن يجتاز الاختبار دائماً من الأطفال والشباب والرجال، ويخرج صالحاً، يعين حاكماً للمدينة وحارساً لها¹.

إن النظرية التي يقدمها أفلاطون في التربية إنما تستهدف في المقام الأول تربية هؤلاء الحكام والفلاسفة ومساعدتهم، ومع ذلك فإنها ليست منهجاً لتربية فئة مختارة من المواطنين، إذ إن تربية هذه الفئة المختارة لا تتم إلا بعد عدة أجيال تربية تعليمية، تستهدف التربية البدنية والنفسية السليمة لأبناء الدولة كافة.

وإذا كانت قدرات بعضهم لا تؤهلهم لأن يكونوا حراساً، فإنهم قد تلقوا القدر المناسب والضروري من الثقافة والتعليم الذي يساعدهم على إتقان مهنتهم التي هم مؤهلون لها، بعد أن اكتسبوا بعض المهارات الخاصة بها، عن طريق الخبرة والوراثة.

كما يخضع الأطفال جميعاً، من دون تمييز طبقي أو جنسي، إلى نظام تعليمي موحد، وتبدأ مرحلة الإعداد منذ حداثة الطفل في سن الثامنة عشرة، ويتركز فيها على التنشئة البدنية والنفسية لهؤلاء الأبناء². فتقوم على تغذية نفوس الأبناء بالآداب والموسيقى الهادئة، وقد اشترط في تلك الآداب والفنون التي يتلقاها هؤلاء الأبناء عدة شروط، حتى لا يقعوا أسرى

¹ حلمي مطر، أميرة: (1988)، ص 210.

² المرجع نفسه، ص 215.

لأشعار هوميروس وهسيود¹ اللذين طالب بطردهما من المدينة الفاضلة؛ لأن أشعارهما ليست صالحة لسماع الأطفال والرجال كما هو واضح من قوله: "سوف نطلب من هوميروس والشعراء الآخرين ألا يغضبوا، إذا حذفنا مثل كل هذه الفقرات، لا لأنها ليست شاعرية وسارة للكثير الذين يستمعون، وإنما لأنها كلما كانت أكثر شاعرية قلّ مستمعوها من الأطفال والرجال"².

والشعر الذي يُسمح به هو الشعر التعليمي الذي يهذب النفس، ويعودها ممارسة الفضيلة؛ ولذلك فإن شعراء المدينة الفاضلة ينبغي أن يكونوا أكثر صرامة وخشونة، ولا يحاكون إلا أسلوب الفضلاء³.

أما بالنسبة للموسيقا فقد اعتبر أفلاطون أن الأغنية تقوم على عدّة عناصر هي الكلمات واللحن والإيقاع، ولا فرق بين الكلمات التي تُلحّن والتي لا تُلحّن؛ إذ يجب أن تتوافر فيها الشروط السابقة نفسها، أما الألحان فينبغي أن نبتعد فيها عن الأنغام اللينة الرخوة؛ لأن الموسيقى ذات أهميّة قصوى في التعليم، على اعتبار أنّ الإيقاع والانسجام قادران على التغلغل في النفس، والتأثير بعمق.

وعلى هذا النحو، صوّر أفلاطون أثر الموسيقى في النفس الإنسانية، وأوضح الهدف الأخلاقي النبيل منها، وكيف يمكن توظيفها لخدمة النظام التربوي والتعليمي الأمثل. كما أن الطريقة التي اقترحها أفلاطون لهذه المرحلة؛ وهي مراعاة حرّية الأبناء والحرص على عدم القسوة عليهم، تُعتبر من أعظم النظريات لطرق التربية، فنجدته يقول: "لا ينبغي أن يتعلّم الحر

¹ هسيود: من أهم شعراء الإغريق، وخاصة في مجال الشعر التعليمي ومن أبرز قصائده "الأعمال والأيام" و"أنساب الآلهة" وتعد قصيدة الأعمال والأيام عبارة عن مجموعة من الأساطير والنصائح الأخلاقية وناتج خبر عملية في عدّة مجالات وبخاصّة الزراعة، أما أنساب الآلهة فيشرح فيها بداية تكوين العالم وظهور الآلهة وأنسابها، والعلاقة بينها وبين بعض البشر، وقد حاول من خلال أعمال هذه تحليل بعض الظواهر. للمزيد من المعلومات انظر: شعراوي، عبد المعطي: (1982)، ص 25.

² Plato, VIII, 53, 6.E.

³ باكر، أرنت: (1996)، ص 25.

بالإكراه (مع طبقة العبيد)¹. كما يطلب من المعلمين أن يجعلوا التعليم سهلاً، فيقول: "إذا قلت أيها الصديق الأكثر نبلاً لا تُربِّ الأطفال بالإكراه، في أثناء تعليمهم، وإنما وهم يلعبون"².

وبعد أن يجتاز الأبناء المرحلة الأولى التي سبق ذكرها، يخضعون للمرحلة الثانية التي يتحولون فيها إلى التدريب العسكري الإجباري، ويرى أفلاطون أن تقتصر هذه السنوات على هذه التدريبات العسكرية البدنية الشاقة فحسب؛ لأنه من المستحيل أن يفعلوا معها شيئاً آخر، وإذا ما اجتازوا هذه التدريبات يكرمون، ويبدؤون من سن العشرين حتى سن الثلاثين، بتلقي العلوم ولا سيما العلوم الرياضية التي تستهدف تدريبهم على التفكير المجرد، وعلى إدراك العلاقات المجردة بين الأشياء، حيث إن دراسة هذه العلوم تعتبر خير معيار لتمييز المواهب القادرة على دراسة الفلسفة.

أما المرحلة الأخيرة فهي تستمر خمس عشرة سنة حتى سن الخمسين، وقد خصصت للتدريب العملي على ممارسة الوظائف العليا، وتولي المهام العسكرية، والغرض منها اختبار القدرة على الصمود أمام المغريات التي تتجاذبهم من جميع الاتجاهات³.

وهذا هو نظام أفلاطون المثالي عن التعليم الذي انتقده شيشرون، لأنه لا يتماشى مع الواقع العملي الذي طرحه شيشرون، من خلال نموذج الأمثل روما، وإن كان يؤيده في غرس المبادئ الأخلاقية في الأبناء.

3- سينكا Lucius Annaeus Seneca (4 ق.م - 65 م):

ولد لوسيوس أينوس سينكا Lucius Annaeus Seneca عام 4 ق.م، لأسرة ميسورة الحال في مدينة قرطبة الإسبانية، وقد تلقى في صباه على يد والده وأصدقائه دروساً

¹ Plato, VIII, 53, 6.E.537A.

² Ibid., VII, 536.E.

³ باكر، أرنت: (1996)، ص 29.

في النحو والخطابة، وترك العديد من المؤلفات التي تنقسم إلى قسمين؛ أولهما: قدّم فيه أعمالاً نثرية تغلب عليها الكتابة في الأخلاق، وإن لم تخلُ من الاهتمام بالطبيعيّات والإلهيات، على غرار معظم الرواقيين. وثانيهما: قدّم فيه أعمالاً شعرية مسرحية تميز بها عن الرواقيين كلّهم؛ إذ انفرد بالاهتمام بالشعر والروايات التراجيديّة¹.

سلّط سينكا، كغيره من فلاسفة الرومان، الضوء على الجانب التربوي والأخلاقي في المجتمع، من خلال اتخاذه الفلسفة الرواقية اتجاهاً له، حيث كانت نموذجاً حياً على المستوى الأخلاقي؛ لينطلق منها في جميع دراساته الفلسفي، واهتمّ بتقديم فلسفة ذات طابع عملي قائم على ممارسة الفضيلة، أكثر من السعي وراء الجوانب النظرية، وسعى إلى مجابهة المشكلات الأخلاقية، والأمراض الخلقية التي أصابت المجتمع في زمانه، الذي وصفه بقوله: "حشد من الوحوش الكاسرة، ولكن الوحوش فيما بينها وديعة، فلا ينهش بعضها بعضاً، أما البشر فلا شأن لهم غير أن يمزّق واحد منهم الآخر"².

هدف سينكا من دراسته الفلسفة الرواقية إلى تقديم صورة واقعية إلى ما آلت إليه أخلاق الفضيلة، وكيفية التعامل مع الخيرات في ضوء الواجب الرواقي الذي أخذه سينكا على عاتقه. فعالج سينكا مفهوم الفضيلة التي قسمها إلى قسمين: التأمل في الحقيقة والممارسة أو السلوك الفاضل، والتدريب يومياً يعلّم التأمل، بينما النصيح يعلّم السلوك، والسلوك السليم يكشف عن الفضيلة، ويركن إلى ماهيتها.

وعلى الرغم من أن الرواقيين السابقين لسينكا ذهبوا إلى أن الوصول إلى الفضيلة يتم فجأة، بعد التخلص من الانفعالات واستبعادها، حيث ينتقل الإنسان من فساد الأخلاق إلى كمالها، فقد كان الأمر مختلفاً عند سينكا، فهو يتحدث عن صفات مختلفة للناس في السير

¹ أمين، عثمان: (1971)، ص 95-96.

² Seneca, II, 19.

نحو الفضيلة؛ لأن طريق الفضيلة، في حقيقته، صراع مع أمراض النفس وأهواء العقل، من أجل التغلب على الرذائل، والوصول إلى الفضيلة الكاملة.

وينقسم الناس حسب تعبير سينكا، في طريقهم إلى الفضيلة، إلى ثلاث فئات: الفئة الأولى: هي فئة الذين لم يصلوا بعد إلى مرحلة الحكمة، وهؤلاء الناس هم الذين نحوا جانباً بعض الرذائل، ومع ذلك ما زالوا يقفون على أرض غير ثابتة، لأنهم أفلتوا من أمراض العقل، ولكنهم لم يفلتوا من الأهواء¹.

أما الفئة الثانية: فتتألف من أولئك الذين تخلوا عن أشدّ علل العقل وأهوائه، ولكنهم لا يزالون بعيدين عن امتلاك الحكمة؛ لأنهم ما زالوا عرضة للانزلاق إلى حالهم السابقة. أما الفئة الثالثة: فهم في مأمن من رذائل كثيرة، ولا سيما الرذائل الكبيرة².

وبعد أن يتحدث سينكا عن هذه الفئات المختلفة من الناس، عن طريق الفضيلة، يتناول بالتفصيل انفعالات العقل وأهوائه وأمراضه، التي على قدر التخلص منها والتغلب عليها تكون مكانة الإنسان بين الفئات الثلاث السابقة، وبالتخلص منها نهائياً تكون سلامة العقل قد تحققت، ويكون الإنسان قد نال الفضيلة.

كما يتطرق سينكا إلى الحديث عن أمراض العقل وأهوائه، استكمالاً لوصفه معوقات الطريق إلى صحة النفس وسلامة العقل التي يقوم عليها جوهر الفضيلة، ويصفها بأنه أمراض شديدة مثل الجشع والطمع الزائد، تطوق العقل وتحاول الاستحواذ عليه بشدة؛ لتكتسب استمرارية مزمنة.

¹ كويلستون، فردريك: (2002)، ص 569.

² رسل، برتراند: (1967)، ص 413.

رغم تعدد كتابات سينكا الأخلاقية وتنوع موضوعاتها، فإن معظمها يدور حول محور واحد هو الفضيلة، وذلك من خلال توسيع دائرة هذه الأخلاق، لتشمل أكبر عدد ممكن من الناس، ولا سيما أصحاب الإرادة والنية الحسنة، كما برع سينكا في تصوير الصراع الأخلاقي بين النفس والجسد، وكشف عن مدى مقدرة العقل في حسم هذا الصراع، وحاول التخلص من هذه الأمراض والأهواء¹.

كما استخدم سينكا الفلسفة أداةً بدفع الآخرين، وهدايتهم إلى طريق السعادة، وذلك ضمن رسائله الأخلاقية إلى صديقه لوكيوس، وكلها رسائل تدخل في نطاق الفلسفة التطبيقية العلاجية، بدأها برسالة حول قيمة النصيحة، وثانية حول فائدة دراسة المبادئ الأساسية أو منفعتها، وثالثة حول مواجهة الشدائد، ورابعة حول انحلال العمر، وثمة رسالة حول أخطار الاتحاد مع أصدقائنا، وأخرى حول العناية بالصحة وسلامة العقل، وهذه رسالة حول مادية الفضيلة، وتلك حول الخضوع للإرادة الكلية، وهاتك حول كيفية معاملة العبيد. وبشكل عام عالجت هذه الرسائل جميعها مفاهيم البذخ والثراء، وتأثيرها على الفرد والمجتمع، وحملت في طياتها الكثير من القيم الأخلاقية والخلقية؛ لمعالجة الفساد الذي آلت إليها الأخلاق في زمانه.

ففي إحدى رسائله التي كتبها حول وقت الفراغ، فحاول تصويب مفهوم الناس الخاطئ حول الفراغ، فقد رفض الاعتقاد الشائع بأن يكون وقت الفراغ وقت البحث عن الذات وإشباع الرغبات؛ فعمّة الناس يتصورون أن الفراغ يعني أن ينشغلوا بتوافه الأمور، وهم لا يدرون كيف يقضون هذه الأوقات فيما ينفعهم؛ حيث الكثير من الناس يتفرغون لشرب الخمر وممارسة الجنس، وآخرون يتفرغون لجمع الثروات والبحث عن مناصب، وفي رأيه أن هؤلاء وأولئك لا يعرفون كيف يحيون؛ حيث تضيق حياتهم سدىً وتنتهي إلى لا شيء².

¹ جيجن، أولف: (1974)، ص 396.

² المرجع نفسه ص 410.

وينتقل سينكا من صور مضيعة الوقت وإهداره غي توافه الأمور، إلى التساؤل عن أفضل طريقة لملء الفراغ، عن طريق اللجوء إلى قراءة الفلسفة بقوله: "فلا ينعم حقاً بوقت فراغه إلا من يتفرغ للحكمة، ويسعى إليها، ويستريح بها. إن الذين يتفرغون للحكمة هم فقط الذين يجدون المعنى الحقيقي للحياة، ويستمتعون حقاً بأوقاتهم؛ إذ يبلغون بقراءة الفلسفة السكينة والطمأنينة للعقل والنفس معاً"¹.

وفي رسائله الأخرى، يوصي سينكا بأهمية العناية بالجسد، وضرورة القيام بالتمارين الرياضية، والابتعاد عن الأكل الذي يبلى حدة الذهن، ويقدم سينكا عدّة أنواع من التمرينات التي تتطلب جهداً أقل مثل الركض، والتلويح بالثققال، والقفز العالي أو الطويل، ويوصي أيضاً بتمرين العقل ليلَ نهار، لأنه لا يحتاج إل لكمية معتدلة من التمرين؛ كي يتطور ويزدهر.

وفي رسالة أخرى لسينكا يبيد رأيه في كيفية معاملة العبيد، واستنكاره معاملة السيد السيئة لعبيده، فالعبيد لا يستطيعون أن يتحدثوا أمام سيدهم، فيتحدثون من خلف ظهره، وكانوا مستعدين للتضحية بأعناقهم على منصة الإعدام لأجل سيدهم، ويمرّون بكل ضروب المعاملة القاسية، وغير الإنسانية، وكأنهم دواب للتحميل، وليسوا كائنات بشرية، وهذا ما يؤكّد حسب تعبير سينكا معاملة الرومان القاسية للعبيد، لكون الرومان يتميزون بعنجهيتهم وإهانتهم المفرطة للعبيد، فجوهر النصيحة التي يقدمها سينكا هنا، هو ضرورة معاملة أي إنسان معاملة طيبة، مهما كانت منزلته².

¹ Seneca, II, 20.

² كويلستون، (ف): (2002)، ص 571.

4- كونتليان Quintilian (25 - 95 م):

إضافة لما سبق ذكره من كتاب الرومان كان لآراء كونتليان¹ التربوية أثر كبير في مجال التربية، حيث شغل بأمور التربية وأساليب العناية بها، من خلال وضعه كتابه "معاهد الخطابة" الذي يعتبر من أهم المؤلفات التربوية الرومانية، ويمكن تقسيمه إلى أربعة أجزاء؛ يختص الجزء الأول منها طرق التدريس وكيفية تطبيقها في المدارس الأولية، ويختص الجزء الثاني من الكتاب برأيه في تدريب العلوم والفنون واللغة اللاتينية والخطابة. أما الجزء الرابع فيصف فيه الخطيب المثالي وكيفية إعداده.

ويصور كونتليان في مقدّمة كتابه الخطيب المثالي، فيصفه بكونه رجلاً مثقفاً واسع المعرفة أكثر منه متحدّثاً لبقاً، كما يبيّن أنّ أقصى ما تصبو إليه التربية الحرّة هو إعداد الخطيب المثالي، وينصح أيضاً من خلال ما جاء في هذا الكتاب، بأن يبدأ الصغار بالتعلم في سنّ مبكرة، أي الفترة التي تسبق الدراسة الرسمية في المدارس، التي تبدأ عادة في سنّ السابعة، وقال إن الأطفال في هذه الفترة يمتازون بقوة الذكرة، كما قال إنه ينبغي شغل أوقاتهم باللعب والتسلية، وإنه يمكن استغلال هذه الفرصة في تعليم الصغار مبادئ القراءة والكتابة، فيبدأ بإعطائهم لعباً من العاج على هيئة حروف الهجاء، ويُعلّمون أسماءها، وبهذه الطريقة يُوضع الأساس لتعليم التهجّي، ونصح بأن تبدأ عملية التعليم بهذه الطريقة، بمجرد أن يتعلم الأطفال الكلام².

وقال كونتليان إنه ينبغي البدء بتعليم اللغة اليونانية قبل اللاتينية، وأن تُستعمل في القراءة كتب أشهر المؤلّفين مع البدء بالبسيط والسهل أولاً، ثم التدرّج إلى الأكثر صعوبة

¹ كونتليان: من الكتاب الرومان وذوي الرأي، الذين عاصروا الامبراطورية الرومانية في أولى عهدها، وكان إسباني الأصل عني بدراسة فن الجدل وألف كتابه المسمى "معاهد الخطابة" في أواخر أيامه، وكان أبوه مدرسا لذلك وحد عناية كبيرة إلى التربية وأساليبها بالرغم من اشتغاله بالقانون والقضاء فترة طويلة من الزمن. انظر: ديوران، ول: (2001)، ص 528.

² Gwyn, Aubrey, (1926), p. 181.

وتعقيداً، وقال إن حفظ التلاميذ مقطوعات من هذه المؤلفات يساعدهم على زيادة معرفتهم اللغوية¹، ونصح بأن يكون للموسيقا والفلك والفلسفة مكانها في المنهج الدراسي في مراحل التعليم الأولى؛ لأنها تساعد التلاميذ في فهم كتب الأدب التي يقرؤونها، كما نصح بالعناية بتعليم التلاميذ كتابة الموضوعات الإنشائية؛ استعداداً لدراساتهم في مدارس الخطابة. ونصح كونتليان بأن يتضمن المنهج الدراسي الهندسة أيضاً، لأنها من العلوم الثقافية التي تساعد الخياط في مهمته؛ إذ إنه يجب أن يكون ملماً بقسط كبير من المعلومات العامة، كما أن دراسة الهندسة تشد الفكر وتنمي الذكاء².

كذلك رأى أن الموسيقا التي يدرسها الصغار يجب أن تكون أنغامها متماشية مع التقاليد القديمة، لأن الموسيقا توحى بالتراخي، كما تكلم كونتليان على المدرسين والمربين، فأكد على أنهم يجب أن يكونوا متعلمين العلم الكافي، فمن الخطر أن يكون تعليم المرء ناقصاً ويظن أنه عالم. وقال أيضاً إنه ينبغي أن يكون المدرسون كاملي الخلق، خالين من النقائص، وحذّر من استخدام مدرسين منحطي الأخلاق³.

ومن آراء كونتليان أن الأم المتعلمة أقدر على تربية أطفالها تربية صحيحة من الأم الجاهلة، لذلك كان تعليم المرأة واجباً كتعليم الرجل، ورأى أنه إذا لزم الأمر الاستعانة بمربية، فإنها يجب أن تكون حسنة الخلق والسيرة، واعتبر كونتليان التقليد والحفظ عن ظهر قلب حجر الزاوية في طريقة التدريس، وكان التلميذ لديه هو الذي يتقن التقليد، وكان ينصح المدرس بالالتزام بعدد من المبادئ في أثناء تدريسه، كي ينجح في مهنته ويكون تدريسه منجاً، ومن أهم هذه المبادئ الإكثار من مدح التلميذ؛ لتشجيعه على التعليم، وزيادة ترغيبه فيه، وكذلك الإكثار من إعطاء التلاميذ عطلات مدرسية، وفترات للترويح عن النفس في أثناء

¹ Quintilian, 5, 14, III,I,5.

² Ibid., I.4.

³ Ibid., I.1.8.

اليوم الدراسي؛ كما يخفف عنهم عبء الدراسة، وكان يُنصح بالالتجاء إلى إثارة الغيرة بين التلاميذ وتشجيع التنافس بينهم؛ وذلك لتحريك اهتمامهم بالدرس¹.

وقد تشدد كونتليان في النصح بعدم الالتجاء إلى الضرب والعقاب الجسماني، إذ اعتبرهما غير مجدين ولا يليقان إلا بالعييد، وقال إن كثرة الضرب تعود لتلاميذ على احتمالهما، فلا يعود يؤثر فيهم التأثير المرغوب فيه، واعترف بالفروق الفردية، وشبه التلاميذ بالجياد قائلاً: "إن بعض الجياد يحتاج إلى النخس المواصل كي يسرع في عمله، بينما يحتاج البعض الآخر إلى كبح الجماح كي يبطئ نوعاً ما"².

ونصح كونتليان بأن تكون سرعة الدراسة متوسطة، وأن تكون المادة مناسبة لسنّ التلميذ، فلا تتحم عقولهم بغزارتها وسرعة إعطائها، وقد شبه التلميذ بالإناء ذي الفوهة الضيقة قائلاً: "إننا إذا سكبنا في مثل هذا الإناء سائلاً بسرعة وبكمية كبيرة، فإن السائل يتدفق على جوانب الإناء، فلا يدخل الإناء منه إلا بضع قطرات"³.

وعندما تتم الدراسة الإعدادية أو التأسيسية لدراسة الخطابة؛ أي عند الانتهاء من التعليم الثانوي، يلتحق الفتى بمدرسة الخطابة، وفيها يُعدّ ليكون خطيباً ممتازاً، وقد رأى كونتليان أن الخطباء الممتازين هم أحسن المواطنين وأصلحهم وأكثرهم فائدة للوطن، وهم الذين يمكنهم العمل على حل المشكلات العامة والخاصة، وهم القادرون على حفظ النظام في المجتمع واستقرار الأمور فيه، وذلك بتنظيم القوانين، والمحافظة على تطبيقها وعلى تطهير البلاد من الفساد، وذلك بأحكامهم قضاةً ومستشارين.

¹ Gwyn, Aubrey, (1926), p. 185.

² Quintilian, 9.27.

³ Ibid., I,1.3.

ويتطلب إعداد الخطيب بعض الشروط، فيلزم أولاً أن يكون صالحاً لهذه المهنة، لبق الحديث، حسن الصوت، قوي البنية، صبوراً، مقبول الشك، واعتبر كونتليان هذه الصفات مواهب طبيعية يجب توافرها في الفرد، لأنه لا يمكن أن يكتسبها عن طريق التعلم، وقال إن هناك ظواهر طبيعية، إذا وجدت في الفرد دلت على قدرته على سرعة التعلم مثل الذاكرة الجيدة والقدرة على التقليد، والميل إلى اللعب الذي هو دليل على الحيوية والنشاط، ويعتبر كونتليان خبرة المرء وتعليمه عاملين أساسيين في إعداد الخطيب، ولذا فإن الأبوين يجب أن يكونا متعلمين ومتقنين، كما يجب أن تكون مربية الطفل حسنة الخلق، فتصبح خبرة الطفل سليمة من أول الأمر¹.

عندما نستعرض التربية في المجتمع الروماني في مراحلها الأولى نلاحظ أنها مرتبطة بالتربية اليونانية، لكن يوجد فروق بينهما، فلما كان اليونان قوماً اتصفوا بحب الجمال، ورقة العاطفة وسمو الخيال والتأمل، كان الرومان عمليين إداريين، اتصفوا بالرزانة والتمسك بالواقع الملموس فكانت التربية عندهم تربية بسيطة عملية مبنية على المشاهدة والتقليد والممارسة، ومتماشية مع تقاليد المجتمع الروماني، وبينما كان صغار اليونانيين يحفظون القصص والأشعار، كان صغار الرومان يحفظون القوانين وما لهم من حقوق وما عليهم من واجبات، فاتجهت التربية الرومانية إلى تعليم الصغار الطاعة والولاء لأولي الأمر، واحترام الأبوين، فمجدوا الفضائل وتحلوا بها.

ولما بدأت المدارس في روما كانت الدراسة فيها نظرية بحتة ولم تزود بالمواد الثقافية والفنية كالموسيقى وكانت هذه المدارس غير تابعة للدولة. هذا وقد قدم فلاسفة الرومان المهتمين بالتربية أمثال كونتليان وشيشرون وبلوتارك نصائح عملية يتجه معظمها إلى إصلاح طرائق التدريس وجعلها أكثر ملاءمة لطبيعة الفرد، وإصلاح المناهج الدراسية والعناية بتكوين الفضائل وتقويم الخلق⁰.

¹ Gwyn, Aubrey, (1926), p. 188.

الفصل الثاني

نظام التعليم في العصر الامبراطوري

أولاً: تأسيس المدارس الرسمية

ثانياً: المعلمون

ثالثاً: الاهتمام بتعليم المرأة

رابعاً: نظام التعليم



أولاً: تأسيس المدارس الرسمية:

ازداد إقبال الرومان في العصر الامبراطوري على الثقافة اليونانية؛ إذ دخلت المبادئ والأفكار والعادات اليونانية على روما، فأدى ذلك إلى تطور المدارس، حيث عرف التعليم الروماني في هذه المدة ثلاث مراحل، وارتبط الاستمرار بمتابعة التحصيل الدراسي بمدى قدرة التلميذ على تحمل مشاقّ التعلّم والدراسة من جهة، ومن جهة أخرى ارتبط الأمر بالقدرة الماديّة للأهل بتحمل تكاليف الدراسة؛ ففي المرحلة الأولى يتعلم التلميذ الحروف والمبادئ الأولى للقراءة، وفي الثانية يدرس النحو، وفي المرحلة الثالثة يتلقى البلاغة.

1- المدارس الابتدائية:

اهتمّ الآباء اهتماماً كبيراً بتربية أبنائهم وتأديبهم حيث بدأت رحلة التعليم في وقتٍ مبكّر جداً، لضمان الحصول على تربية لابنٍ يتشرفون ويفتخرون به، فما أن يولد المولود ذكراً أم أنثى، حتى يخصّص له خدمٌ من العبيد لرعايته، فيودع لدى مربيةٍ تشرف عليه، وتسهر على شؤونه من رضاعة ونظافة وغيرها، ويستمر وجود الرضيع إلى جانبها طوال اليوم، ثم يعود ليلاً إلى أمه ليبيت عندها حتى الصباح، وعندما تنتهي فترة الرضاعة، يضاف بالنسبة إلى المولود الذكر عبدٌ يعلمه كيفية الاعتناء بنفسه وهندامه، ويعلمه حسن التصرف¹.

كانت هذه الفترة العمرية هامة جداً سواءً للطفل أم لوالديه؛ فهي بمقام حجر الأساس لما سيأتي بعدها، ولهذا أُوكلت إلى مربّين متخصصين عُرفوا بمسمّى "Paedagogus" (الصورة رقم 1).

وكانت بعض الأسر تفضل أن تُسند التربية إلى امرأة؛ لتساعد الأم في العناية والرضاعة، ولما تتصف فيه المرأة من الرحمة والعطف، ولا سيما لمرحلة الحضانة، وغالباً ما ينتمي هؤلاء إلى فئة العبيد،

¹ Wolff, Catherine: (w.d), p. 140.

ويعترفون على تربية الطفل تربيةً جيّدةً تقوم على الأخلاق العالية، كما يتولون مهمة حمايته من الأخطار، ولا سيما عندما يخرج إلى المجتمع ملتحقاً بالمدرسة. (الصورة رقم 2-3)

كما كان الشغل الشاغل للوالدين حماية الطفل من تهديدات العالم الخارجي؛ بسبب ضعف بنيته ونقاء سريرته، ومن أجل أن يشبّ سليماً، حرصت الأسر على فرض الانضباط الصارم على أبنائها، ومنع أي تراخٍ تُجاههم؛ من خلال منع الحمامات الساخنة وكثرة الاستلقاء، والتقنين في كمية الطعام، وفي ساعات النوم؛ حتى يكون الجسم سليماً لا يعاني الهُزال ولا السمنة، كما حرص الأهل على ممارسة الأطفال الرياضة البدنية؛ كالسباحة في الماء البارد، وركوب الخيل، وكل ذلك من أجل ألا يتعرض الطفل للضعف الجسدي ولا للفساد الأخلاقي، وليكون قادراً على مقاومة الرذيلة، وإلى جانب هذه الواجبات يأتي الحرص على تعليمه، حتى يواكب المستوى التعليمي اللائق بالصحة الجسدية وحسن الأخلاق¹. (الصورة رقم 4).

وما إن يصل الطفل إلى سنّ السابعة، فيصبح قادراً على الكلام بطلاقة، وعلى الحركة بسهولة، يصبح واجباً على والديه تعليمه كل ما هو أساسي في حياته، وإحاقه بالمدرسة الابتدائية حيث يستمر في التعليم حتى سن الثانية عشر، وقد تختلف سن الالتحاق والمغادرة من المدرسة عند الأطفال الفقراء عن باقي الأطفال الآخرين. ففي كثير من الأحيان قد يتأخر الأطفال الذين ينتمون لعائلات فقيرة بالالتحاق بالمدرسة نظراً لمحدودية إمكانياتهم المادية ومشقة تحمل تكاليف الدراسة، فربما يصل الطفل إلى سن العاشرة أو الحادية عشر ولم يلتحق بالمدرسة الابتدائية بعد، ولا يفرغ منها إلا في سن السادسة عشر باعتبار أن سنوات الدراسة في هذه المرحلة هي خمس سنوات، وقد يجلب الأثرياء لأطفالهم معلمين خصوصيين إلى بيوتهم.

¹ Gelle, Aulu, IV, 19.

وفي بعض الأحيان يكون التعليم حكراً على أطفال الطبقات الميسورة التي تطمح لحياة مريحة لأولادها ثم أصحاب الفئة المتوسطة التي لا تتعدى المرحلة الأولى من التعليم لتساعدها على ممارسة مهنة أو حرفة وغالباً ما يصبح ابن مثل هذه الطبقة متدرب Docopulus يتلقى تدريباً في حرفة ما¹.

يلاحظ أن أمر البنات كان مختلفاً؛ فبينما يتوجه الصبيان إلى الدراسة في المرحلة الابتدائية بالنسبة للمقتدرين والأثرياء أو إلى الحياة المهنية بتعلم حرفة في ورشة أو دكان لأولاد الفقراء والمعدمين، كان يرتبط مصير البنات في المكوث في البيت ليتعلمن شؤونهن خاصة في مجال الطبخ والغزل، بالإضافة إلى تعلم فنون أخرى مثل العزف على الآلات الموسيقية والرقص والغناء، وفي النادر ما يوفر لهن تعليماً في بيت الأب أو الزوج لأن غالبيةهن يتزوجن في سن الرابعة عشر.

أما بالنسبة للتعليم في المرحلة الابتدائية فكان المعلم يواجه التلاميذ لفصل مواهبهم وتأديبهم بشكل جيد²، مركزاً على مبادئ القراءة والكتابة، وكانت مهنة المعلم حساسة جداً في هذه المرحلة؛ فهو ملازم للأطفال طوال الوقت، فالمعلم هو الذي ترتجي منه الأسر أن يكون منهم أطفالاً صالحين لخدمة المجتمع، ومواطنين أوفياء لخدمة من علمهم، رغم خطورة المسؤولية الملقاة على كاهل المعلم، والمتمثلة في إدارة شؤون مدرسة لتعليم مبادئ الحياة الأساسية، فهو من يتسلم الطفل خاماً؛ فيكون المسؤول المباشر عن توجيهه طوال طفولته على الفضيلة والصلاح، إلا أن عمله يعتبر في مقام تكملة لعمل المربيّات والبيداغوج³.

أما بالنسبة إلى منهاج المرحلة الابتدائية، فهو بسيط جداً، لا يتمكن التلميذ عند انهاءه من الترقية الفكرية والعلمية الكبيرة، وإنما يستطيع من خلال هذه المرحلة مغادرة فئة الأميين الذين يجهلون القراءة والكتابة، ومبادئ الحساب ليس أكثر، لأنه سوف يتقن هذه الأمور فحسب.

¹Gelle. Aulu. IV, 19.

² شارل أندري، جوليان: (1985)، ص 240.

³ Pline l'ancien, I,8,11.

يبدأ الطفل في هذه المرحلة الاستماع إلى حروف الأبجدية، وأصوات الحروف من أولها إلى آخرها؛ $A - X$ ، والعكس $X - A$ ، ما عدا حرفي Y, Z لاعتبارهما حرفين يونانيين، ثم مزوجة كل حرفين مع بعضهما البعض $XA, VB, TC, \dots$ إلخ، وعندما يحفظها الأطفال جيداً جرّاء تلقين معلمهم الذي يكررها باستمرار، ويكررونها خلفه كثيرًا، يأتي حفظ الكلمات فالجمل القصيرة وتركيبها، وهكذا حتى يتمكن من كتابة الفقرات والنصوص التي يختارها المعلم من الكتب المدرسية، والتي هي ملخصات لكبار الأدباء والشعراء¹.

ويعتبر أسلوب التلقين والتكرار والتواصل والتلاوة أفضل طريقة لتدريب ذاكرة الصغار وتفعيلها، وبالتوازي يتعلمون الكتابة من خلال خط هذه الحروف والأعداد على ألواح الشمع، التي يضعها التلميذ على ركبتيه، ويكتب بطريقة النحت عليها بقلم من القصب، أو من المعدن الحادّ، أو على ألواح رفيعة من الخشب بالحبر وأقلام القصب. (الصورة رقم 5 - 6).

أما بالنسبة لتعليم الحساب، فقد وجه المعلم الطفل إلى استخدام العدّ بالأصابع؛ ليسهل عليه الوصول إلى نتائج صحيحة بسرعة وإيجاز، كما استُخدمت أيضاً أقراص صغيرة إذا زاد العدّ على ما تستطيعه الأصابع من عدد²، ثم تطورت إلى القيام بعمليات الجمع والطرح والضرب للأعداد الطبيعية توصلاً إلى الكسور؛ فمثلاً يقول المعلم لتلميذه: أجب يا بُنيّ!! إذا أخذنا واحداً من اثني عشر من خمسة على اثني عشر، فماذا يتبقى؟ فيجيب التلميذ: يتبقى واحد على ثلاثة، فيقول المعلم: أنت تستطيع أن تحافظ على نقودك، فماذا تكون النتيجة لما أضفنا واحداً على اثني عشر إليها؟ (إلى الخمسة على اثني عشر)، فيجيب التلميذ: النتيجة تكون النصف³.

وهو ما يدلّ على جودة التعليم، وتمكين المتعلم من القدرة على الحساب الذهني في أقصر وقت. كما ابتدعت طريقة للحساب للغناء، ويصف لنا أوغسطينوس تعليمه في الطفولة، فيذكر أغنية

¹ شارل أندري، جوليان: (1985)، ص 249.

² المرجع نفسه، ص 252.

³ Irene Marou, Henri, (1948), p. 66.

(واحد وواحد، اثنان واثنان)¹، كانت هذه الطريقة الغنائية في الحساب من الطرق المسلية والبسيطة؛ لتحبب إلى الطفل الدراسة، وترغبه فيها، وتسهلها عليه، ففي هذه المرحلة العمرية المبكرة اتسم التعليم بالبساطة واستخدام أساليب مبسطة في التعلم ومنها طريقة العد باستخدام الأصابع أو الأقراص المساعدة أو العد بواسطة الغناء، كما استخدم طريقة التكرار أو التلقين في تعليم الطالب الأبجدية.

أما عن بناء المدرسة الابتدائية، فكان عبارة عن بناية Pergula من سطح وأربعة جدران، لها مدخل صغير يسبق حجرة الدرس، وأحياناً يكون في عليا يصلون إليها عبر الدرج، وتوجد في منطقة هادئة؛ حتى يتفادى الطلاب سماع فوضى المدينة وضوضائها، ول يتمكنوا من التركيز في شرح المعلم. وفي الداخل تتميز حجرة التدريس بالبساطة، حيث يجلس المعلم على كرسية Cathedra الذي تتقدمه منصّة، وإلى جانبه أحياناً مساعده، وحوله تلاميذه على مقاعد Seabella ليس لها مساند للظهر، وقد تكون فردية وجماعية، وليس أمامهم طاولات؛ لأنهم يكتبون استناداً إلى ركبهم.

وصحيح أنه لم يكن أمام التلاميذ طاولات في هذه المرحلة؛ لكونها تعتمد فحسب على التلقين وحفظ الأرقام والحروف للغتين الإغريقية واللاتينية، إلا أن التلميذ في هذه المرحلة كان يحضر معه لوازمه المدرسية؛ فقد تطلبت هذه المرحلة أن يحضر التلميذ محفظته Capsa التي تُصنع من الجلد أو خشب الزان، والتي يحملها له البيداغوج في حال وجوده، وتحتوي المحفظة في داخلها القلم Stylus المصنوع من القصب أو من قطعة حديد، حيث يستطيع الكتابة به على ألواح الشمع، Tabellas Carae وهي صفيحة من الخشب مغطاة بطبقة رقيقة من الشمع، كما يوجد بين ضمن الأدوات لفائف الأوراق Volumina التي تُصنع أحياناً من لب نبات البردي، وأحياناً تُنخذ اللقافة من الرق؛ وهو جلد المواشي الرقيق جداً أو المدبوغ، ومهما تكن مادة صنع اللقافة²، فإنه يُدوّن عليها بالحبر المصنوع من فحم الكربون المكثف وقليل من الماء المضاف عند الحاجة في حال جفّ أو يبس، والمخزن في الحجرة

¹ Augystin, I, XII, 20 -21- 22.

² Claude, Dervieu, (1910), p. 233.

المصنوعة من الطين، وفي حالات نادرة من البرونز، ويعلوها ثقب بحسب سماكة القلب، وشفة حماية مانعة من الانسكاب، ولمادة الحساب والهندسة، توجد مسطرة وقريصات تستخدم للمساعدة في العدّ، فهي بمقام الآلة الحاسبة البدائية¹.

ينهي التلميذ دراسته الابتدائية في سنّ الثانية عشرة، وقد ينهيها قبل هذه السنّ. (الصورة رقم 7)؛ لأن ذلك يرتبط بالطموح الشخصي، ومدى القدرة على الاستيعاب؛ إضافة إلى قدرة الوالدين على تحمّل أعباء الطفل المالية، حتى يكمل مراحل التعليميّة كلّها².

2- المدرسة النحويّة:

عند بلوغ الأطفال سنّ الحادية عشرة أو الثانية عشرة، يدخلون المدرسة النحويّة، ويستمرّون فيها حتى سنّ السابعة عشرة، وفي هذه المدرسة تتطور البرامج التعليمية المقدمة حسب تطور سنّ الطفل الذي سيصبح أكثر قدرة بمجرد مغادرته الطفولة إلى المراهقة³، وهي فترة محرجة جداً، يكثر فيها طيش التصرفات وسوء الخلق، وتحتاج إلى تقويم جادّ احتياج النبات الغضّ إلى الماء، وتستدعي فعلاً زيادة كثافة البرامج التعليمية، وقد يُضطر المراهق من أجل إتمام هذه المرحلة الدراسية، إلى التنقل خارج بلدته أو مدينته.

وقد تزيد أيضاً أو تنقص سنوات الدراسة تبعاً لقدرة الأهل الماديّة، التي تتحكّم في إرسال أطفالهم إلى المدارس، ففي بعض الأحيان يفرغ التلميذ من هذه المرحلة الدراسيّة في سنّ السادسة عشرة، وفي أحيان أخرى يُنهيها بعض التلاميذ في سنّ السابعة عشرة، وكلّ ذلك رهناً بمقدرة الأهل المادية، ومنوطٌ بتلك المقدرة. على الرغم من الظروف الماديّة الصعبة التي تطحن رعاها بعض الأسر، فقد سعى

¹ Claude, Dervieu, (1910), p. 231

² Augustin, I, 19, 30.

³ Irene Marou, Henri, (1948), p. 75.

الأهل جاهدين في بعض الأحيان، إلى تمكين أطفالهم من مواصلة التعلم، ولو كان ذلك فوق طاقتهم المادية، حتى يجتاز الأطفال هذه المرحلة التعليمية¹.

يتعلم التلميذ في مدرسة النحو، التركيز على دراسة الأدب والخطابة، ولا سيما القواعد المعقدة للنحو والصرف، ويتم ذلك من خلال اختيار نص من مؤلفات كبار الشعراء أو الأدباء، ويتم تجميع هذه النصوص ونسخها في كتيبات مدرسية، توزع على التلاميذ لمعالجتها جملةً وتفصيلاً في أثناء الموسم الدراسي؛ فالخطوة الأولى لهذه المعالجة تكون باختيار النص، وبعدها يقوم المعلم بقراءته بصوت مرتفع أمام تلاميذ الصف، مُشْتَفاً أسماعهم به، ثم يكرّر التلميذ على مسامعه فرداً فرداً، ليصوّب لهم النطق².

أما الخطوة الثانية فإنها تتمثل في قراءة النص، وتناوله بشرح مفصّل؛ شرح الكلمات كلمةً كلمة، ثم شرح الجمل جملةً فجملة، ثم يشرح المعلم جميع القواعد النحوية والإعرابية التي استخدمها المؤلف في كتابة نصه، وتعدّ هذه المرحلة الأولى من الدرس، وهي نظرية، لكنها تتجاوز السرد وتعتمد على التحليل المعمّق للأفكار والقواعد؛ ليكتسب المتعلّم دقائق العلوم النحوية، التي تقوم على التحليل المنطقي لحبيّات النص؛ الأسماء، والصفات، والأعداد، والتواريخ، والاشتقاقات، ومحاولة البحث عن المفردات والأضداد³.

وبعد انتهاء المعلم من شرح درسه، ينتقل إلى الخطوة الثالثة؛ الخطوة التطبيقية، بتقديمه مجموعة من التمارين التي ترسخ درسه في ذهن التلميذ؛ فأولاً يطلب من التلميذ إعادة كتابة النص بالفراغات بين الكلمات، واستخدام علامات الترقيم، ثم يخفي أجزاء من الجمل ويطلب إكمال فراغاتها، وأخيراً يطلب منه كتابة نص مماثل لحدث ما، قرأ عنه أو صادفه في حياته اليومية⁴.

¹ Irene Marou, Henri, (1948), p. 79

² Wolff, Catherin, p. 160.

³ Irene Marou, Henri, (1948), p. 77.

⁴ Ibid., p. 77.

تكون الخطوات السابقة من خلال انتباه التلاميذ، ومتابعة المعلم لهم على كتبهم المدرسية، المحتوى مختلف النصوص التي أعدها المعلم مسبقاً، وتعدّ القراءة مهمة جداً، لأنها تشير إلى مدى فهم التلميذ النص، عندما لا يرتبك في أثناء قراءته بصوت عالٍ، كما أنها تكشف أخطاءه فنصح قبل أن يكتب تعبيره المماثل¹.

ومن أهمّ المواد المُدرّسة، في هذه المرحلة أيضاً، اللغة والآداب الإغريقية، حيث كانت تُلقن على مستوى رفيع في المدارس كلّها، لأنها اللغة الأم للعلوم والفلسفة وغيرها، ويعود كثير من مصطلحات التعليم إليها، وهذا المقرّر مكّن التلاميذ في هذه المرحلة من حفظ نصوص أشهر الأدباء والشعراء والفلاسفة ورؤاد القانون².

كما أولى المدرّسون الأسلوب والبلاغة اهتماماً كبيراً، وركزوا على التعاليم اللغوية للنصوص القديمة التي تلامس تاريخ وطنهم وحذوا حذوها، فكان حسن اختيار النصوص يصب في فائدتين للتلميذ؛ فائدة أدبية، وأخرى تاريخية، كما ساعدتهم التمارين المنجزة على تأليف بعض النصوص وتأديتها بشكل مقنع أمام معلمهم، وقد مكّن هذا التنوّع والتعدّد في المقررات المدرسية، من تخريج أدباء وفلاسفة ومحامين وخطباء صغار السن³.

ولكيلا يصاب التلاميذ بالملل والضجر، تخلّلت الحصص الجادة التي تستغرق منهم جداً ثقلاً وتركيزاً كبيراً، مواد علمية تعتمد على الفهم مثل الحساب والهندسة، وأحياناً تضاف مادة الفن المسرحي، ومادتا الموسيقى والغناء؛ لأنهما جزء لا يتجزأ من التعليم⁴.

¹ Gelle, Aulu, XIII, 31.5.

² Apulee, 20.

³ Irene Marou, Henri, (1948), p. 85.

⁴ Ibid., p. 88.

3-المدارس البلاغية:

يُعتبر المتعلّم في هذه المرحلة محظوظاً ومميّزاً، حيث تضمن هذه المرحلة لمن تنهى إليها مكانة مرموقة جداً في المجتمع، وتكمن خلف هذه القيمة المكتسبة عدّة أسباب؛ أولها أن الطلبة في هذه المرحلة، هم من الأثرياء الذين يعيشون في الطبقات الراقية، وليس هذا فحسب، بل يجب أن يكون للمتعلّم رغبة شديدة في إتمام تعليمه، وأن تتوفر لديه طموحات عالية لمستقبله. يقصد التلميذ هذه المدرسة عندما يبلغ سن السابعة عشر، حيث يواصل أبناء الطبقات الثرية حيث يواصل أبناء الطبقات الثرية تعليمهم كون هذه المرحلة مكلفة مادياً، ويعتبر المتعلّم في هذه المرحلة محظوظاً ومميّزاً، إذ تضمن هذه المرحلة لمن تنهى إليها مكانة مرموقة في المجتمع وتكمن خلف هذه القيمة أسباب عدة أولها أن يكون للمتعلّم رغبة شديدة في إتمام تعليمه وثانيها أن يكون له طموحات عالية لمستقبله¹.

كما كان المعلم هو المسؤول المباشر عن تقديم الدروس للشباب في هذه المرحلة، وقد كان عارفاً بمختلف العلوم، ومتقناً لها، وقادراً على التحدث بها جميعها، فهو يعلو السلم التعليمي، ويترع على عرشه، كما أنه كان محبوباً جداً من قبل طلابه، وقدوة لهم، ومثلهم الأعلى الذي يتمنون أن يكونوا في المستقبل مثله².

كما وفرت البلديات للخطباء أمكنة لائقة، يلتقون فيها طلابهم، ويقدمون فيها دروسهم؛ وهي عبارة عن حجرات ذات شكل نصف دائري، مشابهة المسرح، بيد أنها صغيرة المساحة، حيث يجلس الطلبة في شكل دائري حول المعلم الذي يقابلهم على مصطبة، ويعتلي من جانبه من جاء دوره في تقديم واجبه، كما تميزت هذه المدارس بالهدوء والسكينة والاحترام المتبادل بين المعلم والتلاميذ، ولم يعان

¹ Jevunal, VIII, 186- 187.

² Augustin, IV,13,23.

المعلم مشكلة هروب التلاميذ؛ نتيجة الثقة المتبادلة بينه وبينهم، ولم تخلُ هذه المدارس أحياناً من تدمر المدرّسين والطلاب؛ نتيجة اقتحام الأطفال المشاغبين هذه المدارس بصراخهم¹.

اعتمد المعلم على الفن الخطابي في تقديم علومه، من خلال جعله الطريقة المثلى والأرض الصلبة لأي نوع من الأدب الذي يقدمه طلابه، وبذلك وجد الخطابة في المدارس أرضاً صلبة وخصبة، من خلال التمرينات المدرسية لمختلف المرافعات، وتبدأ بموضوعات وهمية من اختيار الخطيب، ثم تتبعها مجموعة من التعليمات والشرح المعمق²، سواءً أكان ذلك لمرحلة الكتابة والتأليف أم كان لمرحلة الحفظ والالقاء؛ لأن الخطابة تتكون من هذين الجزأين، اللذين لا يتجزأان، وكلاهما مرتبطان نجاحه بالآخر؛ فكما كان الخطيب بليغاً وشجاعاً كان الحاضرون منصتين ومنتبهين إلى خطبته كلّها³.

كما هيمن الخطاب القانوني على بقية الخطابات الأخرى بالنسبة إلى ميول الشباب، فكان الأكثر وجوداً والأكثر نجاحاً. وركز الخطيب فيما يخص هؤلاء الطلبة الذين سوف يتخرجون في صف المحاماة، على النصوص القانونية والأوامر القضائية، فكان يطرح لهم القضايا المعروفة، مركزاً على جانب من الجوانب؛ حتى يتمكنوا من التعرف على القانون الروماني، فكان يكلف الطالب في كل مرة بحفظها عن ظهر قلب، ثم يحدّد له إشكاليات قانونية ويطالب بنسج قضايا في سياقها، وبأن يحوك على منوالها، ويكتب لها مرافعات يقدّمها ارتجالياً⁴.

كما درست العلوم السياسية والتاريخية في هذه المدارس، من خلال دراسة الأحداث التاريخية الكبرى؛ وذلك عن طريق اتباع إشكالية دراسية لهذه الأحداث التاريخية، وهذا الجدل في تناول الأحداث يتولد من خلال خطبتين يقدمهما فريقان؛ فريق مؤيدّ هذه الأحداث وآخر معارض لها⁵. كما عرفت الفلسفة رواجاً كبيراً في هذه المرحلة، وكانت أفضل ما يتمّ تعليمه، وأكثر العلوم التي يقبل عليها

¹ Augustin, IV, 12.22.

² Irene Marou, Henri, (1948), p. 90.

³ Adalbert gautier, Hamman, (1979), p. 111.

⁴ Irene Marou, Henri, (1948), p. 90.

⁵ Adalbert gautier, Hamman, (1979), p. 112.

الطلاب، فهي مفتاح العلوم، وكانت تُدرس عبر مراحل متدرجة، تبدأ بمبادئ وأبجديات ثم يتعمق المعلم في أفكار المدرسة الفلسفية، من خلال طرحها بأسلوب بلاغي وخطابي جيد، بحيث يستفيد منها الطلاب فائدة عملية في حياتهم اليومية¹.

والى جانب المواد الفلسفية، يتم التطرق إلى الأخلاق والمنطق، والتاريخ والجغرافيا والطب، وفي نهاية هذه المرحلة يجب على الطالب أن يؤلف خطبة أو مرافعة، يؤديها أمام الحاضرين، وتستوجب توافر مجموعة من الشروط كتطبيق فعلي للقواعد والأسس البلاغية التي تعلمها طوال مشروعه الدراسي، فضلا عن تدعيمها بالحجج والبراهين المقنعة²، أما الموضوع فيختلف من طالب إلى آخر، حسب المجال الذي يريد الطالب امتحانه لاحقاً، ولذلك تتنوع بين خطب قضائية، ومواقف سياسية أو تاريخية، وتُمنح له فيها الشهادة، فيكتب المحامي على سبيل المثال مرافعة لقضية ينسجها من خياله، وعليه تبرز موكله ونصرته واسترداد حقه، من خلال توظيف القوانين الرومانية المناسبة لما اختاره³، ثم يأتي الجانب الثاني من المشروع؛ وهو تأدية هذه المرافعة على منصة أمام الحاضرين، وزملائه ومعلميه وأهله وأصدقائه، وعليه أن يتخيل نفسه أمام هيئة المحكمة، وعليه إقناعهم بخطبته، وينطبق الشيء ذاته على مختلف التخصصات الأخرى، وقد تنوعت المجالات المدروسة، فتوجه الطلاب إلى ما كان أقرب إلى رغباتهم وطموحاتهم، فذهب معظمهم إلى دراسة القانون والإدارة؛ لمعرفة ما لهم وما عليهم، وقد يكون ذلك رغبة في الحصول على وظائف عليا، وبلوغ مراتب مرموقة⁴.

تنوعت هذه المرافعات والخطب، وتميّزت بتنوع المواضيع المستمدة من واقع كل طالب، فبعضها ذو طابع اجتماعي، مثل قضايا التبني والميراث، وزوجات الأب، وبعضها الآخر من الخطب السياسية التي يُحصل بها على الرتب الإدارية، وأخرى لفلاسفة وأطباء وأساتذة ومحامين، هذا التنوع أثرى الوطن وجعله غنياً عن توظيف أحد من خارجه.

¹ Apoleius, 20.

² Irene Marou, Henri, (1948), p. 91.

³ Apoleius, LXXXIII.

⁴ Irene Marou, Henri, (1948), p. 223.

4- سن الالتحاق بالمدرسة، وسن التخرج منها:

اختلف المفكرون والفلاسفة الإغريق والرومان حول السن التي يجب أن يلتحق فيها الطفل بالمدرسة الابتدائية، حيث يوحى الفيلسوف أفلاطون بأن السن المناسبة للالتحاق بالمدرسة، هي السادسة من العمر¹، ويوافق أرسطو في فكرة أن الطفل يجب أن يستهلّ تعليمه في البيت في سن الرابعة، وألا يلتحق بالمدرسة إلا في سن السابعة²، كما سار المفكرون الرومان إلى أن السن المناسبة للالتحاق بالمدرسة السن التي سار عليه الإغريق، هي حين يصبح الطفل قادراً على التمييز بين الأشياء، ويصل إلى حقيقة الإدراك والفهم؛ أي بين السادسة والسابعة. كما تختلف سن الالتحاق بالمدرسة عند الأطفال الفقراء عن بقية الأطفال؛ نظراً لمحدودية إمكانياتهم المادية، ومشقة تحمل تكاليف الدراسة، فربما يصل الطفل إلى سن العاشرة أو الحادية عشرة، ولم يلتحق بالمدرسة الابتدائية بعد؛ وذلك يجعله لا يفرغ منها إلا في سن السادسة عشرة أو السابعة عشرة؛ باعتبار أن سنوات الدراسة، في مرحلة التعليم الابتدائي خمس سنوات³.

5- تفاصيل اليوم الدراسي:

يبدأ اليوم الدراسي في الصباح الباكر، حيث يذهب التلميذ إلى المدرسة بعد الاستيقاظ حيث ينقسم دوامه إلى دوامين؛ دوام صباحي ودوام مسائي حيث يتلقى في الدوام الصباحي دروس في القراءة والكتابة حتى منتصف النهار، ثم يعود إلى بيته لأخذ قسط من الراحة وتناول وجبة الغداء، ثم يعاود الرجوع إلى المدرسة كرة أخرى حيث تبدأ الفترة المسائية ويتلقى فيها بعض الدروس والأنشطة الرياضية، ثم يختتم يومه بالاستحمام⁴.

¹ Plato: 794.

² Aristo: VII, 133A- 23-24.

³ Monroe. P: (1939), p. 250.

⁴ Adalbert gautier, hamman, (1970), p106.

يبدو أن اعتماد المدرسة نظام الدوامين يؤكد وجود جداول التوزيع الزمني التي ترتب المواد المدروسة، كحصة لتعلم الحروف وأخرى للحساب وغيرها.

6- إجازات المدرسة:

كانت السنة الدراسية تزخر بالاحتفالات العديدة، فكانت المدارس تغلق أبوابها في فصل الصيف، إذ تبدأ العطلة من نهاية الشهر السابع حتى منتصف الشهر الحادي عشر، كما كان يوم السبت يوم الراحة الأسبوعية للمدارس الرومانية¹.

ثانياً: المعلمون:

تميز الرومان فيما يخص تعليم العبيد، خاصة في الأسر الأرستقراطية بتربية العبيد في منزل سيدهم ليخدموه فيما بعد، وكان غالبية تعليمهم يكون بكيفية اتقان وظائفهم وكيف يكونون خدماً أوفياء لأسيادهم، كما حرص الخدم على تعلم نوعاً من التعليم الفكري حيث كانوا يشاركون سيدهم الحديث في مختلف المجالات الفكرية، وكان يختار من هؤلاء العبيد المثقفين من يرافق الطفل في ذهابه وإيابه إلى المدرسة، بحيث يختار بعناية فائقة، فينظر إلى أخلاقه وإمكاناته لأن له دور تعليمي تربوي في آن واحد فهو المسؤول عن سلوك الطفل في طريقه إلى المدرسة حيث يقدم له النصيح والإرشاد، وبمرور الوقت أصبح معلماً خصوصياً ومسؤولاً عن التطور الأخلاقي للطفل، وكان معظم العبيد عند الرومان من الإغريق².

¹ Wolff, Cathrine, p 158.

² Ibid, p75.

ونظراً لأهمية المعلم في العملية التعليمية والتربوية، لا بدّ من استعراض الأدوار التي مارسها المعلمون في روما، وعلاقتهم بالتلاميذ وجنسياتهم.

1- جنسياتهم:

شهدت روما نهضة ثقافية بفضل المعلمين الذين أتوا إليها أسرى حرب، وأقاموا مع الأسر الرومانية¹؛ فكما هو معروف أنه مع منتصف القرن الثالث قبل الميلاد كان الأدب اللاتيني قد ابتدأ بأعمال ليفيوس أندرونيكوس² Livius Andronicus المترجمة من اليونانية إلى اللاتينية؛ فمثلاً نرى أن ترجمة أندرونيكوس لأوديسة هوميروس ظلت في روما رديحاً طويلاً من الزمن، واعتُبرت كتاباً مدرسياً رائعاً، وقد وصل ليفيوس أندرونيكوس إلى روما مع مجموعة من الأسرى عندما سقطت مدينة تارنتوم اليونانية أمام القوات الرومانية عام 272 ق.م. ثم أصبح أندرونيكوس في روما ضمن عبيد أسرة ليفيا Livii وهي من أعرق الأسر السناتورية في روما، فعمل أندرونيكوس معلماً لأدب اللغتين اليونانية واللاتينية وعلومهما، علاوة على اشتغاله بالتمثيل في عروض بعض المسرحيات، كما حصل أندرونيكوس على مصادر أعماله الأدبية التي كان يقوم بتدريسها، من خلال الأشخاص الذين بمقدورهم شراء الكتب من أسواق الجنوب الإيطالي³، ثم يقوم أندرونيكوس بترجمتها إلى اللاتينية، وتدريس الطلاب إياها.

هذا الأمر ساعد على انتشار الهلينية في روما؛ حيث ارتكز نشاط أندرونيكوس على ترجمة طائفة من روائع الأدب اليوناني، فكان يخاطب بأعماله الأثرياء من الأسر السناتورية المستتيرة، الذين أعجبوا بالمؤثرات الهلينية، وتأثروا بآدابها وفنونها، فاهتموا بالتعرف على هذه الحضارة، وقراءة إنجازاتها

¹ Gellius, 3. 3, 14.

² ليفيوس أندرونيكوس: هو إغريقي الأصل اقتيد إلى روما بوصفه أسير حرب عام 272 ق.م عندما استسلمت مدينة تارنتوم لروما، وأطلق سراحه فيما بعد أحد أفراد أسرة ليفيا السناتورية، بعد ما كان عبداً لديهم، واكتسب شهرته حينما بدأ بترجمة ملحمة أوديسا لهوميروس من اليونانية إلى اللاتينية، وهو صاحب أول مسرحية تُعرض في روما حتى إنه وصف بالأب الروحي للأدب اللاتيني. للمزيد من المعلومات انظر: Smith, William, (1844), p. 285.

³ Wolff, Catherine, (w.d), p. 135.

باللغة اللاتينية، وبذلك يكون أندرونيكوس أول معلم يوناني قديم إلى روما، كذلك وفد إلى روما نخبة من المتقنين والمفكرين، فمثلاً كان للفيلسوف كراتيس Craitus عند زيارته روما، فضل كبير بإلقائه محاضرات حول اللغة وقواعدها وأصولها، ونقد النصوص وتحقيقتها، وتفسير الشعر، مؤدياً بذلك دوراً ثقافياً وأدبياً¹.

كما وفد إلى روما المؤرخ اليوناني الشهير بوليبيوس Polybius²، حيث عمل في روما معلماً، واهتم بروما، وطرق الحياة الرومانية، ونهجها وسبلها، فوهب نشاطه الأدبي مؤرخاً لها باللغة اليونانية وعمل على إرساء قواعد الكتابة التاريخية.

كما ذكرت بعض المصادر الأدبية زيارة عدد من المعلمين إلى روما، فكان على رأس أولئك المعلمين الفلاسفة كارنياديس Carneades³، وديوجنيس Diogenes⁴، حيث قام هؤلاء الفلاسفة بإلقاء المحاضرات في روما، وأدوا دورهم الريادي في تمازج الأفكار والثقافات وتمازجها، الأمر الذي يصب في صالح الحضارة الإنسانية، ويزيد الثقافة والفلسفة ثراءً وغنى.

فبفضل فصاحة هؤلاء الفلاسفة، زاد حب الثقافة والفلسفة اليونانية عند الشباب الروماني، ومارس هذا الوفد تأثيراً هاماً في روما؛ لأنه لم ينجح في أن يُحبب الشباب الروماني بالثقافة اليونانية عموماً والفلسفة على وجه الخصوص فحسب، بل إنه جذب كبار

¹ Biagio, G.B: (1980). P. 122.;l

² بوليبيوس: يعد من أشهر مؤرخي القرن الثاني قبل الميلاد، ولد حوالي عام 201 ق.م بإقليم أركاديا، كرس حياته لخدمة وطنه حيث عمل في الأعمال الخاصة بالدولة وارتقى منصباً رفيعاً بالجيش والدولة، كما ألف كتاباً أسماه في التاريخ العام Histories أربعين كتاباً، وهو يصف الغزو الروماني لجزء كبير من العالم. للمزيد من المعلومات انظر: إيمار، أندريه، وجانين، أوبلويه: (1986)، ص 327.

³ كارينادس: ولد في قوريناينة في عام 214- 129 ق.م، وقد غادرها في مطلع شبابه متجهاً إلى أثينا، وهناك انصر للدراسات العميقة في كل فروع الفلسفة، وهناك فيما يبدو بدأت مواهبه الخطابية، حيث كانت محاضراته يخشاه الخطباء، وقد اشترك في الوفد الذي بعث به الأثينيون إلى روما لإعفائهم من دفع غرامة عام 155 ق.م وقد أفلح في مهمته وأصبح في نظر الرومان عالماً في فن الإقناع. للمزيد من المعلومات انظر: بدوي، عبد الرحمن: (د.ت)، ص 15.

⁴ ديوجينيس: يعد من أشهر فلاسفة المدرسة الكليبية، وكلن له فضل في إشاعة المذهب الكليبي في بلاد اليونان، للمزيد من المعلومات انظر: حلمي مطر، أميرة: (1977)، ص 37.

الشخصيات السناتورية إلى محبة هذه الثقافة عموماً، فكان من نتائج هذا الجذب، وهذه المحبة، أن كتبوا مؤلفاتهم باللغة اليونانية¹.

كما كان لزيارة الفيلسوف الرواقي الشهير باناييتوس² Panaetus إلى روما، دور كبير في نشر الثقافة اليونانية؛ فعمل على تبسيط المذهب الرواقي، ونشره بين أفراد من الأسر السناتورية. فبفضل هذه الوفود التي كان أغلب أفرادها معلمين، وصلت روما إلى مرحلة متقدمة من النضج الثقافي، وحدث تقدم هائل وكبير في مجالي الدراسات التاريخية، والدراسات الفلكية³.

2- أجورهم:

رغم ما للمعلم من أهمية في تكزين المجتمع، من خلال اهتمامه الشديد بالمستوى العلمي لطلابه، وخطورة المسؤولية الملقاة على عاتقه، والمتمثلة في إدارة شؤون المدرسة، وتكوين من هم أقل منه، أو حتى أقل درجة في السلم الاجتماعي، فإن المعلم يصنف في درجة متوسطة، وتعد مهنته من المهن الأخيرة في السلم الوظيفي الروماني، وكان يتقاضى أجراً زهيداً، لدرجة أن بعض تلاميذه يزدرونه أحياناً لفقره وغنى أسرهم⁴، فكان معلم الابتدائية يتقاضى أجرة محدّدة بثمانية أس⁵ AS عن كل تلميذ في الشهر، فكان على سبيل المثال العامل العادي أو الحرفي يتقاضى في روما أجراً أكثر من أجره في

¹ Biagio, G.B, (1980), p. 130.

² باناييتوس: رودوسي الأصل عاش بين عامي 185- 110 ق.م، درس في أثينا لبعض الوقت، ثم وفد بعد ذلك إلى روما وصادق فيها مشاهير الرومان من أمثال المؤرخ الروماني الشهير بوليبيوس وشيشرون وغيرهم، كما كان له العديد من المؤلفات من أهمها: عن الفعل والجمود، وعن الطمأنينة. للمزيد من المعلومات انظر: كويلستون: تاريخ الفلسفة/ مج 1، الترجمة العربية، ص 559.

³ Biagio, G.B, (1980), p. 137.

⁴ Pline l'ancien, I, 8,11.

⁵ أس AS: هو عشر الدينار، وتعني أيضاً وحدة وزن من النحاس. انظر

اليوم؛ فأدى ذلك إلى وجود فصول مكتظة تجاوزت ثلاثين تلميذاً لكي يضمن المعلم حياة بسيطة، كالتى يعيشها بقية أصحاب الحرف¹.

استمرت ظروف المعلم مزرية حتى القرن الرابع الميلادي، عندما أصدر قانون دكليانوس Diocletianus سنة 301 م، لكن هذا المرسوم، مع الأسف، لم يكن في صالح هذه الفئة، ولم يرفعها إلى وضع يوافق أهميتها في المجتمع، إذ حدد أجره المعلم بخمسين ديناريوس للتلميذ الواحد في الشهر، ولكي يتقاضى المعلم أجره تعادل ما يتقاضاه النجار أو البنا، وجب عليه أن يملأ فصله بمجموعة من الأطفال لا يقل عددها عن الثلاثين، حتى يضمن لنفسه حياة عادية. رغم هذا العدد الكبير من التلاميذ في الفصل، والذي من الممكن أن يسبب أحياناً بعض الفوضى، أو عدم قدرة المعلم على السيطرة على هذا العدد كله، فإن من الممكن، استناداً إلى الوضع التعليمي المتطور، وجود مساعد للمعلم يؤدي مهامه إلى جانب المعلم الأساسي.

أما المعلم النحوي الذي تميز بالصرامة والجديّة، فقد اختلف أجره عن معلم الابتدائية، فكان يظهر في المدرسة بوجه صارم جداً، ويوجه فصله المتميز بالهدوء، وشدة الإصغاء إليه، تجمعته علاقة طيبة وأواصر وطيدة بتلاميذ فصله، فضلاً عن مكانة متميزة في المجتمع، أفضل من مكانة معلم الابتدائية، ومما عبر عن رقي مكانته أجرته؛ حيث كان يتقاضى أضعاف ما يتقاضاه معلم الابتدائية²؛ أي ما يعادل مئتي دينار لكل تلميذ في الشهر، لكن كثيراً ما كان الواقع عكس ذلك؛ بسبب عدم تقاضيه أجرته بشكل منتظم؛ لمماطلة بعض الأولياء عنوة في الدفع، أو بسبب الأزمات التي تقاضهم، فيؤجلون الدفع³. أما معلم البلاغة فقد احتل مكانة مرموقة في مجتمعه؛ نظراً لمعرفته مختلف العلوم، وقدرته على التحدث بها جميعها، كما أنه كان محبوباً جداً من قبل طلابه وقوة لهم، فعلاوة على المكافآت التي يحصل عليها من أرستقراطية مدينته التي يشرف على تعليم أبنائها، فإنه يتقاضى ألفي سيستريس عن

¹ Martial, X, 61- 69.6-11.

² Irene Marou, Henri, (1948), p. 73.

³ Ibid., p. 77.

كلّ شابّ في السنة، ثمّ حدّد له قانون دكليتايبوس لاحقاً بين 200- 250 سيستريس لكلّ طالب في الشهر¹.

3-مكانتهم في المجتمع:

انعكس الوضع الماديّ على حال المعلّم المعيشية والنفسية، فتعامل بشدّة وقسوة مع تلاميذه، ووصفته بعض المصادر بالوغد الذي يكرهه الفتيان والفتيات، ويخافون سوطه وصوته المرتفع، الذي يخفي ضجيج الحداد عندما يضرب النحاس على السندان، واتهمته بالإزعاج لمن يجاور مدرسته لاستيقاظه مبكراً وفتح أبوابها²، حتى أن أوغسطينوس تمنى الموت مفضلاً إياه على أن يكرّر مرحلة الطفولة؛ من شدّة خوفه من المعلم، فهو إن تهاون في الحفظ والواجبات، فسيتعرّض للضرب المبرح، ولكن أوغسطينوس نفسه، وبمجرد أن أصبح معلماً رأى في العقاب حزماً وحرصاً واجباً على معلّمه أدائه تجاه طلابه³؛ لأنّ الطفولة لا تؤهل الأطفال لمعرفة ما ينفعهم وما يضرهم، فتجرّهم إلى التكاسل، وحبّ اللعب، بدلاً من أداء واجباتهم المدرسيّة⁴. وهنا تُبرّء ساحة المعلّم، ويكون في قسوته حرصٌ وفائدة في صالح مدرسته التي سوف تخرّج أطفالاً نجباء، وعلى عكس تلك النظرة الدونية إلى المعلم، والتي لم تكن نظرة عامة في المجتمع الروماني، فقد دلت أحياناً بعض النقوش على أن المعلم كان محبوباً جداً في مجتمعه⁵.

4-العلاقة بين المعلم والتلميذ:

تذكر بعض المصادر شدّة المدارس الابتدائية وصرامتها، ويأتي هذا الهلع والخوف في ذهن بعض الرواة عنها من كونهم خاضوا التجربة؛ فهم خريجو هذه المدارس، ويعرفون أن هذا الحرص كان

¹ Ibid., p.81.

² Martial, IX, LXIX.

³ Augustin, XXI, 14.

⁴ Ibid., I, 4, 14.

⁵ Jevunal, VII. P. 148.

بمساعدة أنواع من العقوبات الشديدة، المسلطة عليهم، حتى أنه لم يشفع للأطفال صغر سنهم، في حال التقصير والخطأ والغيابات المتكررة، فإنهم يتعرضون لأشد أنواع العقوبات حتى يتقنوا تلك المواد العلمية والأدبية¹، وقد استخدم المعلم السوط بشكل خاص والعصا لجلد المتهاونين والمقصرين في أداء واجباتهم، وهذا بشهادة الأسقف أوغسطينوس² الذي يقول: "فمن منا لا يهاب أن يحيا حياة الطفولة مرة أخرى، ولا يفضل الموت لو أُتيح له الاختيار؟!"³.

ويقول في موضوع آخر: "كنت أتضرع آنذاك في نفسي أذى وألم كبيراً"⁴. من خلال هذه الأقوال تبين أن العقوبات كانت قاسية جداً، ولا رحمة فيها، وغالباً ما تجعل التلاميذ شديدي الحرص على القيام بفروضهم. كما تشير بعض المصادر الأدبية مؤكدة ما سبق، إلى أن العصا كانت الوسيلة كانت الوسيلة المثالية لحفظ النظام في الفصل الدراسي. كما تعرض التلاميذ لنوع آخر من العقوبات؛ حيث كان التلميذ يُرفع على أكتاف أحد زملاء دراسته، ثم ينهال عليه المعلم ضرباً⁵. وجاءت المصادر الفنية لتؤكد ما جاء في الأدب؛ حيث يصور مشهد أحد الطلاب وقد نُزعت عنه ملابسه، وحُمِل على ظهره، وأمسك بذراعيه زميل له، بينما أمسك بقدميه زميل آخر، فلم يعد التلميذ المخطئ يستطيع حراكاً، فبدأ المعلم بضربه بالسوط على ظهره العاري (الصورة رقم 8)، هذا المشهد والمشهد الذي سبق ذكره يعكسان مدى القسوة في العقاب.

رغم ما ذكرته بعض المصادر الأدبية من قسوة المعلم مع تلاميذه، فقد ذكرت بعض المصادر الفنية علاقة قائمة على الود والعاطفة؛ حيث يأخذ المعلم التلميذ بين يديه وفي أحضانه، فقد مثل مشهد

¹ Irene Marou, Henri, (1948), p. 91.

² أوغسطينوس أوريليوس Aurelius Augutinus (354-430 م): نوميدي المولد والنشأة من عائلة ميسورة الحال كان والده شديد الحرص على تعليمه المبادئ الأولى لقراءة والكتابة في مدينة الأهراس، ثم انتقل إلى قرطاج ليحصل على تعليم عال بجامعاتها، ومن أبرز مؤلفاته الاعترافات Confessions حيث أورد فيه أخبار حياته وأدق تفاصيلها ويعد نوعاً من الآداب بلقب السير الذاتية، ومن مؤلفاته كتاب التثليث detrinatite يتألف من 15 فثلاً تتناول جميعها علم اللاهوت ومن كتبه كتاب مدينة الله وكتاب المعلم. للمزيد من المعلومات انظر: بن ميس، عبد السلام: (2010)، ص 189.

³ Augustin: XXI.14.

⁴ Ibid., I, IX.

⁵ Quintilin: I, 3.14.

على أحد التوابيت معلماً جالساً على مقعد، يمسك بيده لفافة ورقية، ويلتفت حوله تلاميذه يستمعون إلى قراءة المعلم، وقد وبدأت أنظارهم تتجه إلى المعلم باهتمام بالغ شغفاً بالعلم، وحباً للمعلم (الصورة رقم 9).

ثالثاً: الاهتمام بتعليم المرأة:

تحدثت المصادر الأدبية عن المرأة الرومانية، وتناولت تدرجها في الحصول على الكثير من الحقوق التي تمكنت من الحصول عليها، وزادتها نفوذاً وقوةً في العصر الإمبراطوري؛ مما أثار حفيظة بعض المفكرين الأخلاقيين، وتذمرهم في القرن الثاني الميلادي؛ إذا رأوا في تعاظم قوتها، وتخليها عن القيم الأخلاقية والآداب العمة التي عُرف بها أسلافها، تهديداً لقيم المجتمع الروماني، وضرباً للعادات والتقاليد، وهدماً للأجيال، ويبدو أن للمدنية والرفاهية دورها في هذا الانحلال، حتى أن بعضهنّ غالين في المجون إلى أن فجرن. لكن لم تكن هذه الآراء التي طرحها بعض المفكرين مقياساً للحكم على المرأة؛ فقد تحدث بعض المفكرين، وتحدثت بعض المصادر عن المرأة في البلاط الروماني، وتلك النسوة اللواتي تمكنّ من الوصول إلى العرش، والتربع على هرم السلطة الإمبراطورية. وكذلك المرأة العامة بدأت بالتححرر في النصف الأخير من القرن الأول قبل الميلاد، من كثير من القيود التي كانت تربطها بالبيت والأسرة؛ فبعدما كانت تؤدي عملها في البيت على أكمل وجه بإشرافها عليه، وعملها في غزل الصوف، وإشرافها على الإماء وإنجاب الأطفال، وتتعهدهم بالرعاية، كما تكبدت عناء مساعدة زوجها وأبنائها في شتى مجالات الحياة، أصبحت خلال العصر الإمبراطوري تتمتع بكرامة واستقلالية أكثر؛ حيث كانت النسوة يذهبن لحضور الأعياد والعروض¹.

هذا، واختلفت النساء باختلاف طبقاتهن الاجتماعية؛ فنجد النساء الرومانيات في الأسر الفقيرة يعملن بجدّ في المنزل والحقول، مثلهنّ مثل الرجل. ومن أهمّ المجالات التي شاركت فيها المرأة المجال

¹ Dion Cassius, LXVIII, 5, 3.

السياسي؛ فعلى سبيل المثال، تُعتبر ليفيا ¹Livia زوجة أوغسطس ² من أقوى النساء، وقد شاركت زوجها في انتصارات وهزائمه، وقد قامت باعتبارها السيدة الأولى بالاهتمام بشؤون الأسرة الرومانية؛ حيث دفعت زوجها إلى إصدار قانون يتعلق بمعاقبة الزوجة الخائنة، وذلك في سبيل ضمان وحدة الأسرة ومن تفككها، ولم تكف بهذا فحسب، بل سعت إلى إظهار ابنيها على أنهما من أفضل القادة في الجيش الروماني، حيث وفرت لهما جميع الإمكانيات التي تساعدتهما على ذلك، مثل مدح الشعراء لهما في سبيل إظهار شجاعتهما وحكمتها العسكرية لدى أوغسطس ³.

وهي مع مسؤولياتها المتعددة ومهامها الكثيرة، واهتماماتها الكبيرة، لم تهمل بيتها، بل كانت كأية زوجة عليها القيام بشؤونها المنزلية والاعتناء بزوجها وأولادها، رغم وجود عدد كبير من الخدم عندها، ولو كانت إمبراطورة ⁴. ومن بين أشهر النساء أيضاً الإمبراطورة جوليا دومنا ⁵، التي تمتعت بثقافة واسعة في شتى علوم التاريخ والفلسفة والمنطق، وضمّ بلاط الإمبراطورة جوليا دومنا عدداً من الفلاسفة والشعراء والأدباء. هذا، ولم يقتصر نشاط المرأة الرومانية على المجال السياسي، بل مارست الأعمال التجارية، مثل البيع والشراء في الأسواق العامة، وتاجرت بالحرير والصوف، فلم تكن المرأة الرومانية جليلة المنزل، وإنما خرجت منه بهدف جمع المال، وتحسين مستواها المعيشي، ومساعدة زوجها على تكاليف الحياة ⁶.

¹ ليفيا: ابنة ليفيوس دروسوس كالدينانوس، وقد اتصفت بأنها متواضعة وذات أخلاق حميدة، إضافة إلى جمالها ورجاحة عقلها، كانت في البداية متزوجة من القائد العسكري تيبيريوس كلاوديوس نيرون، وقد أنجبت منه ولدين، وبعد انفصالها عن زوجها تعرفت على أوغسطس الذي أثارت إعجابه، فاتخذها زوجة له، للمزيد من المعلومات انظر: داود، أحمد: (2011)، ص 313.

² أوغسطس: ولد في عام 63 ق.م في مدينة فاليترا في جنوب شرق روما، ينتمي إلى عائلة من الفرسان، حكم خلال الأعوام 31 ق.م - 14 م. ويعرف باسم Caius Octavius وغير اسمه إلى غايوس يوليوس قيصر Gaius Julius Caesar بعد موت القيصر إلى أن منح لقب أوغسطس Augustus عام 27 ق.م. للمزيد من المعلومات انظر: Grant.M: (1985), p. 233.

³ عبد الحليم الحمصاني، ناهد: (2007)، ص 194-195.

⁴ عبد الحليم الحمصاني، ناهد: (2007)، ص 196.

⁵ جوليا دومنا: سورية الأصل ولدت في حمص عام 158 م، وهي الابنة الكبرى لكاهن جوليديس باسبانوس، عاشت دومنا في بيت وفر لها كل سبل الحياة الكريمة فمنحها ثقافة واسعة، حيث قام والدها بطلب المعلم أنيتباهو لكي يقوم بتعليمها علوم المنطق والبلاغة والتاريخ والفلسفة، تزوجت جوليا دمينا من القائد الروماني سبتيموس سيفيروس. ونتج عن هذا الزواج أن أنجبت ولدين هما كراكلا وجيتا. للمزيد من المعلومات انظر: داود، أحمد: (2001)، ص 55.

⁶ ديورانت، ول: (2001)، ص 315-317.

ولم تنسَ النساء الرومانيات الاهتمام بمظهرهنّ الخارجيّ، فتتوّعت ألبسة المرأة؛ فارتدت سيدات المجتمع الستولا، والستولا تُحزم أسفل الثديين بحزام (الصورة رقم 10). كما ارتدت النساء البالا ليغطين بها رؤوسهن وأكتافهنّ، ويستخدم الصوف في نسج البالا، ويُصبغ بألوان زاهية (الصورة رقم 11). ويبدو أن الثوب النسوي عرف التدرج من الثوب الطويل البسيط الذي لا يصل في الغالب إلى الكاحلين ويكون أحياناً من دون أكمام وحزام إلى الثوب المخطط والمشدود بحزام عند الخصر¹.

كما عرفت المرأة حبها للجمال والظهور بمظهر يُبهر الأنفاس، لذلك استخدمت المساحيق التجميليّة؛ فعمل التجار على توفير هذه المستحضرات التجميلية للإمبراطورية الرومانية، كما حرصت المرأة على اقتناء الأشياء الثمينة من ذهب وفضة والمرصعة أحياناً بالأحجار الكريمة، بالنسبة إلى النسوة من الطبقات الثرية، أم كان من الحديد والعظام والصدف بالنسبة إلى الفقيرات منهنّ، وكذلك من البرونز²، وتتوّع المجوهرات الملبوسة ما بين سلاسل وعقود وأساور وخواتم وأقراط مختلفة الشكل. (الصورة رقم 2).

هذا ولم تعجز المرأة البتّة عن اصطناع الجمال والظهور بمظهر لائق؛ فاستخدمت دبائيس الشعر المصنوعة من العاج والعظم والذهب (الصورة رقم 13)، كما لجأت بعض النسوة إلى استخدام الشعر المستعار لأن الشعر ذو أهمية كبيرة بالنسبة إلى المرأة، وأصل زينتها، فتتوّعت تسريحات الشعر أيضاً عند المرأة (الصورة رقم 14)، ولجأت بعض النساء إلى إخفاء الأبيض منه باللون الأسود، بصباغ قشور الجوز³.

ومن أبرز المجالات التي ظهر فيها عطاء المرأة ودورها بصفقتها أمّاً، فالتربية تشمل كل العمليّات التي ترمي إلى تكامل الفرد جسمياً وعقليّاً وخلقياً، ولم يخلو أي مجتمع أو أسرة من ممارسة فعل التربية؛ ولهذا قدمت النصوص الأدبية قدراً ملحوظاً من اهتمام المرأة الرومانية بأطفالها وأسرتها،

¹ MRTIAL, ii, 39.

² Apulee, XV, 4-7.

³ Ovide: 25-30.

فكانت المرأة الرومانية أفضل مثال للمرأة، من خلال علاقتها بأطفالها في الحياة اليومية، وتقديم العناية والرعاية لهم، فكانت الوظيفة الأساسية لها بعد الزواج هي القيام بدورها البيولوجي؛ أي الحمل والإنجاب، والكثيرات من النساء يهرعن للقابات والمشعوزات في حال تأخرهن عنه. وقد حرص الأطباء على تقديم النصائح والإرشادات للنساء المقبلات على الحمل والولادة؛ من أجل سلامتهن وصحة إنجابهن، حيث فسروا لهنّ مختلف الطرق السليمة للتغذية. كما كان للقابات دور كبير في الإشراف على عملية الولادة (الصورة رقم 15-16)، إضافة إلى مساعدتهن بعض النساء في حال الإجهاض، وعلاج أمراض العقم¹.

أما بالنسبة إلى الرضاعة، فاحتل هذا الأمر قدسية عظيمة عند النساء، وكانت بعض نساء الطبقات الثرية يملن إلى عدم إرضاع أطفالهن؛ حفاظاً على جمالهنّ، ولا سيما أن فترة الرضاعة كانت طويلة تدوم إلى حدود ثلاث سنوات، فكنّ يستعنّ بالمرضعات اللواتي كنّ من طبقة العبيد أو الطبقة الوسطى أحياناً². كما قدّم القديس أوغسطينوس في كتابه الاعترافات نماذج عديدة لدور الأم المعطاء، ومن أبرز تلك النماذج والدته "مونيكا" التي لم تكن سيدة البيت فحسب، بل عملت على تقديم ما في وسعها لأجل أبنائها، وتنظيم بيتها، وإبقائه هادئاً قدر الإمكان، مع حرصها الدائم على طاعة زوجها، كما حرصت أيضاً على إيمان أولادها، واعتناقهم تعاليم الدين الصحيحة.

ومما يعبر عن حبها لأبنائها، أنها كانت تتادي ابنها "بابنها الحبيب"، ويشهد أوغسطينوس على أمه بقوله وأي أم حين بكت رحيله عن قرطاج وسافرت إلى روما، وحين كذب عليها وأوهمها بأنه لن يسافر وسافر، رغم محاولاتها المخففة لإقناعه بالعدول عن ذلك، فكانت أمه كثيرة الدعاء له، ولم تهناً إلا بعد أن لحقت به إلى روما³.

¹ الأندلسي، نظار: (2017)، ص 113.

² Plutarque, I.1.2.5.

³ Augustine., II, V,8.15.

ومن النماذج الأخرى التي ظهر فيها عطف الأم وحنانها ما ذكره أوغسطينوس عن جدّته التي كانت تحاول الحفاظ على بيت ابنها، وتتصرف بحكمة حين ترى أن هناك من يحاول أن يتآمر على سلامة زوجة ابنها وأمنها، ويهدّد استقرار أمن المنزل؛ هذا الأمر الذي يُحسب لها، ويكشف عن خصالها الحميدة وحكمتها¹. وتحدث أوغسطينوس عن نماذج للنساء اللواتي اتصفن بالعفة والطهارة، بعد وفاة أزواجهنّ؛ فالكثير منهنّ كنّ يقدمن الصدقات والقرايين، وأشار أيضاً إلى المرضعات اللواتي اشتغلن مرضعات، وساعدن ربات البيوت على إرضاع أبنائهنّ، فوصفهن بالحنونات اللواتي يعطين حليبهن بحنان، ويغذين الأطفال حتى يتأكدن من أنهن شبعوا². تلك هي النماذج التي قدمها أوغسطينوس عن المرأة التي لم يكن دورها محصوراً في إنجاب الأطفال، بل كانت زوجة مطيعة لزوجها، وأدت مهمتها المقدسة في التربية على أكمل وجه.

أعطى الرومان المرأة فرصة للأخذ بنصيب وافر من العلم والثقافة المتعددة الجوانب؛ فالبينات كنّ يذهبن للمدارس لتلقي مبادئ القراءة والكتابة والحساب والشعر وقواعد اللغة، وكان بوسعهنّ أن يواصلن الدراسة والتحصيل؛ حين كانت المدارس الرومانية تسير على نظام الاختلاط بين الجنسين، وكان الفتية والفتيات يجلسون إلى معلمهم، من دون التمييز بينهم³.

وكانت الأسر الغنية تعهد بأبنائها سواء أكانوا ذكوراً أم إناثاً إلى معلمين مختصين؛ لتعليمهم اللغة اليونانية، وكانت الأسر الفقيرة تحرص على إرسال بناتها إلى المدارس، في سنّ السابعة، برفقة العبد كي يحافظ على سلامتهن في الشارع جسداً وخلقاً؛ فإذا غادرت الفتاة منزل والديها ترى الشارع مزدحماً بالناس، بمختلف طباعهم وتصرفاتهم، فيؤثر ذلك في الفتاة؛ ولهذا خصص لهنّ الأهل المرشد

¹Augustin., VIII,11,30.

² Ibid. IV. 7.

³ Gourvitch, Daniell: (2001), p. 130.

من العبيد، وهذا دليل على اهتمام الأسرة ببناتها، لأن هذه المرحلة العمرية تؤثر في أخلاقهن وتصرفاتهن مستقبلاً¹.

وعندما تصل الفتاة إلى سن الثانية عشرة تنتقل إلى المدرسة الثانوية؛ لتدرس مناهج تحوي أكبر قدر ممكن من اللغتين اليونانية واللاتينية وآدابهما، إضافة إلى النحو والفلك وغير ذلك من علوم. ولم تتوقف المرأة الرومانية عند هذا القدر من التعليم، بل واصلت تحصيلها العلمي مثل الرجال، وحصلت على شهادات في مختلف المجالات، فكانت المرأة معلمة وطبيبة، وألفت كتباً عن موضوعات مختلفة مثل كتب الإجهاض من أجل حفاظ النساء على أجسامهن، والتعرف على الطرق السليمة للإجهاض. كما اشتهرت، من النساء الرومانيات، الشاعرات اللواتي ألفن شعراً يتسم بالحب والغرام، وظهرت أيضاً عدة نسوة فيلسوفات؛ وهذا يُبرز أن المرأة تمتعت بقدر عالٍ من الفطنة والذكاء².

وفي دليل على اهتمام المرأة بالعلم، كان بلاط الإمبراطورة جوليا دومنا، يعجّ بمجالس العلم والثقافة التي تتألف من كبار الشعراء والفلاسفة؛ حيث حاولت أن تخلق ثقافة فيه، كما كان يحدث في منزل والدها، وحفل بلاطها بالعديد من الشخصيات الذين تعددت اختصاصاتهم في مجالات الفلسفة والأدب والفلك والجغرافية والتاريخ، كما أنها أقامت مدرسة لتعليم البنات، ففتح ذلك المجال أمام النساء في المجتمع الروماني؛ للسير في ركب النشاط الثقافي الذي تميز به عصر الإمبراطورة جوليا دومنا³.

كما عبر الفن الروماني عن تعليم البنات القراءة والكتابة؛ ففي إحدى اللوحات تظهر شخصية فتاة صغيرة تمسك بالقلم ولوحات الكتابة المحزومة بقطعة من القماش، فهي تمسك القلم بيدها اليمنى، وتسد طرفه بين شفتيها، ويبدو من ذلك أنها تفكر بما ستكتبه على اللوحات قبل الكتابة، كما يبدو من ملامح هذه الفتاة هدوء وجهها الذي يُشعّ جمالاً، وبروز خصلات شعرها القصير من تحت القبعة التي

¹ Gourvitch, Daniell: (2011), p. 130.

² ديورانت، ول: (2001)، ص 196.
³ داوود، أحمد: (2011)، ص 78.

ترتديها على رأسها (الصورة رقم 17). رغم عجز هذا العمل الفني عن التعبير عن المشهد التعليمي بشكل متكامل، فإن هذا التصوير يوحي بوجود صدى لتعليم البنات.

وثمة مشهد تعليمي آخر، يمثل معلم الموسيقى يحمل بيده قناعاً مسرحياً، ربما يتضح من ذلك أنه كان يؤدي مشهداً تمثيلاً لتلاميذه، وتقف إلى جوار هذا المعلم تلميذته التي زينت شعرها بإكليل من الأزهار، وتمسك آلة الليرا الموسيقية بين يديها، وتعزف عليها، كما يبدو على هذه الفتاة البراءة والسذاجة؛ مما يوحي بصغر سنها (الصورة رقم 18)، وهذا المشهد يعكس مدى حرص الأسر على تعليم بناتها الموسيقاً.

رابعاً: نظام التعليم:

انعكس إرساء دعائم السلام على الاستقرار الاجتماعي، وبالتالي على التطور في مختلف المجالات، واتضح ذلك في الازدهار الثقافي؛ ما أدى إلى انتشار اللغة اللاتينية وتوسعها، بالتوازي مع تطور القوة الرومانية السياسية والعسكرية والاقتصادية.

1- تعليم القراءة والكتابة:

بدأ التعليم من خلال سماع الطفل الحروف بشكل جيد، قبل معرفة أشكالها بالترتيب من A إلى Z ثم العكس من Z إلى A ثم مزوجة Er, Ct, Bv، لكنّ كونتليان لا يفضل أن يتعلم الأطفال أسماء الحروف وترتيبها، قبل معرفة أشكالها؛ لأن هذه الطريقة تعمل على الحدّ من تفكيرهم، ولا تساعد على شحذ الذاكرة¹، فالشكل حسب تعبيره يجذب الانتباه، وينصح بالتكرار وإعادة الشيء نفسه عدّة مرات، ولتعليم الطلاب جيداً، وحتى يتمكنوا من إتقان القراءة، يجب عدم الضغط عليهم للفظ كلمة كاملة مرّة واحدة، أو إجبارهم على القراءة بسرعة؛ لأن ذلك يُكتسب تلقائياً مع المداومة التي تجعلهم ينطقون الكلمة

¹ Quintillen, 1. X, III.

كاملة ثم الجمل بسلامة تدريجياً، كما يُنصح ألا يستخدموا الورق البردي للكتابة، ويفضّل استخدام ألواح الشمع للتعليم¹.

كان تعلم الكتابة مترامناً مع القراءة، وقد أثبتت طريقتان للكتابة؛ الأولى وهي الكتابة على اللوحة، أما الثانية فهي الكتابة بالقصب على الورق البردي، وقد كانت الطريقة الأولى الأكثر ملاءمة؛ لأنها أقل تكلفة، إضافة إلى أنها سهلة المحو². وتذكر أحد المصادر الأدبية ما قاله أحد رجال الرومان، الذي يتذكر أيام الدراسة موحياً بطريقة الكتابة بقوله: "وعندما أنتهي من نسخ الحروف، أعرض لوحة الكتابة على أستاذي فيصححها وينسخها على نحو لائق، ويقول لي إن لوح الشمع خشنٌ يجب أن يكون أكثر نعومة، ثم يقول لي أكتب بإتقان، ضع قطرة من الماء من محبرتك، كل شيء على ما يرام الآن، اسمح لي برؤية قلمك، أعطني سكينتك؛ لكي أبري قلم البوص، دعني أر، أجل ليس سيئاً..."³، يدل هذا النص على أن تعليم القراءة والكتابة، كان منتظماً خلال القرن الثاني الميلادي، وبداية القرن الثالث الميلادي، ويدل أيضاً على استخدام اللوح الخشبي المطلي بطبقة من الشمع في عملية الكتابة، والقلم المصنوع من البوص، والذي يُغمس في المحبرة، ويُكتب به على لوحة الكتابة، ويدل النص أيضاً على متابعة المعلم الدقيقة، وحرصه على تعليم القراءة والكتابة.

كما عبرت المصادر الفنية عن تعليم القراءة والكتابة، ففي إحدى اللوحات الفنية التي تؤرخ في النصف الثاني من القرن الأول الميلادي، صُوّر شابٌ خشن القسّات ناتئ عظام الوجنتين، له لحية دقيقة الشعيرات، يبدو من سماته أنه محدود الذكاء، يمسك بلفافة ورقية بيده اليمنى، ويسندها إلى لحيته موهماً من يراه أنه يمعن في التفكير. وإلى جانبه صُوّرت فتاة تمسك لوحة الكتابة بيدها اليسرى⁴، بينما تمسك القلم بيدها اليمنى، وتسند سنّ القلم إلى ذقنها، وكأنها تمعن في التفكير فيما ستكتبه على لوحة الكتابة (الصورة رقم 19).

¹ Irene Marou, Henri, (1948), p. 70.

² Quintillien, I.X.III.

³ Ibid., I.I.27.

⁴ Irene Marou Henri (1948), p71.

وفي مشهد فني آخر؛ صُوِّر على جدار تابوت روماني، يؤرخ بما يقارب القرن الثاني الميلادي، تعبّر عن تعليم القراءة والكتابة ما صُوِّر فيه؛ فالنحتُ يصوّر مراحل مختلفة من حياة الطفل، منذ أن كان في المهد حتى وصوله سنّ المدرسة، تظهر فيه مراحل أربع لتربية الطفل وتعليمه؛ حيث يمثل المشهد الأول صورة الأم تجلس على كرسي ذي مسند للظهر، وتقوم بإرضاع مولودها الصغير، ويقف أمامها رجل يستند ببديه إلى عمود، ويغلب على الظن أن هذا الرجل هو زوجها، حيث ينظر إلى الأم وطفلها باهتمام بالغ، أما المشهد الثاني من هذا النحت فيمثل رجلاً يحمل الطفل على يده اليسرى، وربما كان هذا الرجل هو البيداغوج الذي يقوم برعاية الطفل وتربيته، أما المشهد الثالث فيظهر فيه الطفل وقد بلغ مرحلة الصبا، وهو يمارس لعبته المفضلة، ركوب العربة الصغيرة ذات العجلتين، ويبدو كأنه قائد متمرس يقود عربته الحربية، وفي المشهد الأخير يمثل النحت وصول الطفل إلى سنّ المدرسة، حيث يقف بيده لفافة ورقية أمام أستاذه الذي يجلس على كرسي ذي مسند للظهر؛ مما يشير إلى أن الدرس كان تعليم القراءة والكتابة (الصورة رقم 20). تُظهر هذه المشاهد انتظام عملية القراءة والكتابة في العالم الروماني، وهذا يتوافق مع ما جاءت به المصادر الأدبية¹.

2- مبادئ الهندسة والعمليات الحسابية:

كان موضوع تعلم أسماء الأرقام أمراً أساسياً في التعليم الروماني مثله مثل التعليم اليوناني، غير أن الرومان كانوا يستعينون في تعليم أطفالهم الحساب، بمجموعة من الأشخاص الذين يشتغلون في مهنة الإحصاء، وتمّ أيضاً استخدام طريقة العد على الأصابع في المدارس الرومانية². كما تدرب التلاميذ الرومان على عمليات الجمع والطرح والضرب، سواء أكان ذلك في الأعداد الصحيحة أم كان ذلك في الأعداد العشرية، ويوضح هوراس ذلك فيقول: "يستطيع الأطفال الرومان كيفية تقسيم الواحد الصحيح بمئة طريقة مختلفة، فيقول المعلم لتلميذه: أجب يا بني، إذا أخذنا 12/1 من 12/5، فماذا

¹ عكاشة، ثروت: ص 462.

² شارل أندري، جوليان: (1985)، ص 252.

يُتبقى؟ أجب ماذا تكون النتيجة؟ فيجيب التلميذ: 3/1، فيقول الأستاذ حسناً، أنت تستطيع أن تحافظ على نقودك، فماذا تكون النتيجة لو أضفنا 12/1، فيجيب التلميذ تكون النتيجة النصف¹. ومن خلال هذا النقاش يتبين مدى نجاعة هذا التعليم ومدى جودته، وتزداد هذه الفكرة وضوحاً عندما نعرف أن للكسور مسمياتها اللفظية وليست أرقاماً، مما يزيد الأمر صعوبةً لارتباطه بالحفظ والفهم، ويتطلب أيضاً ذاكرة قوية وذهناً واعياً، فعبر عن الخمس بـ Quincunx، وعن الوحدة 2/1 بـ Vncia، وعن الثلث 3/1 بـ Triens وعن النصف 2/1 بـ Semis².

3- الطب:

أخذ الرومان عن اليونان العلوم الطبية، مثلما أخذوا عنهم الفلسفة وغيرها من العلوم، فنتيجة إحاطة المستشفيات بروما، انتشرت فيها الأمراض؛ الأمر الذي جعلها في حاجة شديدة إلى طب متقدم، كما أن ازدياد الرفاهة والاحتلال الأخلاقي عند البعض أدى إلى ظهور بعض الأمراض الجنسية، كما اجتاحت روما وباء الطاعون؛ كل هذه الأمراض استدعت وجود طب متطور لمواجهة³، ففي البداية كانت مدرسة الإسكندرية من أهم المراكز التعليمية التي يسافر إليها الطلاب؛ لدراسة الطب الذي تضمن شقين: نظرياً وعملياً؛ يتمثل الشق النظري في قراءة مؤلفات كبار الأطباء، أما الشق العملي فيتمثل فيما يتعلمه الطلاب عندما يصحبهم استاذهم في زيارة المرضى، حيث يتمثل الجانب العملي من خلال عدة خطوات ومراحل، تبدأ أول الأمر بالاعتماد على المشاهدة، والإصغاء إلى شرح الأستاذ وهو يعالج المرضى، وفي المرحلة الثانية يباشر الطلاب الفحص والوصف تحت إشراف الأستاذ، وبعد فترة من التدريب يصبح الطالب قادراً على العناية بأحد المرضى ليراقب حالته وأثر علاجه، وعندما يصبح عند

¹ Horace: 1, 2, 80.

² Irene Marou, Henri, (1948), p. 77.

³ سارتون، جورج: (1970)، ص 314.

الطالب خبرة، ففي إمكانه أن يصبح طبيباً يمكن الاعتماد عليه، ومن ثم يعود إلى مدينته؛ ليمارس مهنته ويصبح بدوره أستاذاً لتلاميذ آخرين¹.

كما تلقى الطالب أحياناً تعليم الطب في أثناء خدمة الجيش؛ حيث إن الحاجة إلى أطباء دفعت روما إلى تدريب بعض المواطنين على مهنة الطب داخل الفصائل الطبية؛ لتوفير عدد مناسب من الأطباء لرعاية الأفراد العسكريين²، كما أنه لم تفرض على مهنة الطب قيود، فكان يمارسها من لديه القدرة المادية على تعلمها من قراءة المؤلفات الطبية ومتابعة الأساتذة، ففي بعض الأحيان تكفلت الحكومة الرومانية بدفع نفقات تدريب بعض الطلاب على مهنة الطب؛ لحاجتها الماسة إلى الأطباء، كما ظهر العديد من الاختصاصات الطبية في روما، مثل المختصين بالمجاري البولية وأطباء العيون وغير ذلك، إضافة إلى ظهور طبيبات لمعالجة الأمراض النسائية، كما ظهر أصناف أخرى للأطباء مثل الأطباء الحكوميين؛ هذه الفئة التي تقدّم العلاج المجاني للمواطنين مقابل الحصول على أجر من الحكومة، وهم الذين ينفذون التعليمات الصادرة عن الحكومة، فقد أوكلت إليهم مهام عديدة مثل توقيع الكشف على حالة المريض، وإعطائه العلاج اللازم، وفحص المتوفّين بسبب مرض أو حادثة. والنوع الآخر من الأطباء هو الاختصاصيون الذين أتموا فترة تعليمهم على نفقاتهم الخاصة، ومارسوا المهنة بمعرفتهم، وهم يأخذون أجورهم من المرضى الذين يعالجونهم³.

4- التاريخ:

اهتم الرومان بتسجيل تاريخهم، وأضافوا إنجازات ضخمة إلى مجال الأدب التاريخي الذي بدأت بوادره تظهر في أواخر القرن الثالث قبل الميلاد، وحتى نهاية العصر الجمهوري، اشتهر بعض الذين يكتبون باللغة الإغريقية أمثال فابيوس بيكتور Q. Fabius Pictor⁴ وكاتو Cato وغيرهما، والذين

¹ Yankell. Joshua: (2014), p. 88.

² سارتون، جورج: (1970)، ص 326.

³ Yankell. Joshua: (2014), p. 90.

⁴ فابيوس بيكتور: ينحدر من أسرة فابي Fabii إحدى أعرق العائلات الرومانية، تولى عدة مسؤوليات سياسية، وشارك في الحرب البونية الثانية حيث خاض معرض تراسيمان Trasimene التي لقي فيها الرومان هزيمة نكراء على يد الجيش القرطاجي، وإثرها

يمكن التعرف على ما كتبه من خلال اعتماد المؤرخين اللاحقين عليهم. ومع بداية العصر الإمبراطوري، نشط من يكتب باللاتينية من ممثلي مدرسة الحوليات، أمثال ديودور الصقلي¹ وتيتوس ليفيوس² باعتباره المؤرخ الرسمي للإمبراطورية والذي تفوق في كتابة النثر وتدوين التاريخ في مؤلفه "تاريخ روما" Ab Urbe Condita Libri، أما تاكيتوس³ فقد عرف من خلال مؤلفاته التي أُقبل على كتابتها في سنّ الأربعين، انصرف إلى التحري والتقصي وجمع المعلومات التي رغب فيها، ومن أهم أعماله التي أضافت الكثير إلى مدرسة الحوليات الرومانية، كتاب التواريخ Historiae. وما بعد وفاة المؤله أوغسطس Ab Excussu diui August والمعروف بالحوليات، الذي اعتمد فيه طريقة سرد الأحداث التاريخية سنة بعد سنة، أما مصادره التي اعتمد عليها في هذين المؤلفين، فتمثلت في معاصرتهم للأحداث مباشرة، إضافة إلى الاستماع إلى الروايات الشفوية ممن كان شاهد عيان، وكان يرى أن التاريخ وسيلة لوعظ الناس وإرشادهم⁴.

5- الفلسفة:

كانت الثقافة، والعلوم في العصر الإمبراطوري، تقوم على ضرورة تلقي الفنون الحرة السبعة، وهي أساس التكوين الفلسفي، وتتكون تلك الفنون من اللغة، والخطابة، والمنطق، والحساب، والهندسة والفلك، والموسيقا؛ ولذلك ظل اهتمام الرومان بالفلسفة قائماً، وحدث تفاعل بين التراث الفلسفي الإغريقي

ألف كتابه تاريخ روما باللغة الإغريقية، تناول فيه تاريخ روما منذ وصول إينياس إلى إيطاليا حتى الدفاع عن السياسة الرومانية. للمزيد من المعلومات انظر: Polybe, Hisoire Romaine, I, 1.14.

¹ ديودور الصقلي، ولد في مدينة أجيريون في جزيرة صقلية، عام 80 ق.م، وعاش حتى عام 29 ق.م، زار الاسكندرية عام 59 ق.م، ويعد من أعظم مؤرخي العصر الهلنستي، حيث ألف أربعين كتاباً عن تاريخ العالم أسماها Bibliotheke. للمزيد من المعلومات انظر: إيمار، أندريه: (1986)، ص 432.

² تيتوس ليفيوس: ولد في بادو سنة 60 ق.م، رغم أنه لم يتولّ أي منصب سياسي أو عسكري أو إداري، إلا أنه كتب تاريخاً عاماً، تناول فيه تاريخ روما منذ نشأتها إلى سنة 9 م، في 42 كتاب، يظهر في كتبه عظمة روما حيث أنتج عملاً يحوي معلومات جيّدة ومنظمة بأسلوب سلس جعلت قراءته غير ممّلة. للمزيد من المعلومات انظر: Jal (p): (1977), p. 123.

³ تاكيتوس Publius Cornelius Tacitus: عاش بين عامي (55 - 120 م) في بلاد الغال وتواجد في روما أواخر عام 75 م، وتزوج ابنة القنصل بوليوس أغريكولا، وفي أوائل عام 98 م نشر أول كتاباته التي يحكي فيها عن حياة أغريكولا تحت عنوان De Vita Iulia Agrecula وصدر له في نفس العام كتاب تحت اسم جرمانيا الذي يتناول فيه الجرمان وحياتهم، ومن متابعاته كتاب التاريخ Histories الذي يحي فيه عن تاريخ الإمبراطورية الرومانية منذ عهد دميتران، وأيضاً كتابه الحوليات Annals الذي يؤرخ الفترة من موت أغسطس حتى عهد نيرون. للمزيد من المعلومات انظر: قاسم عبد المحسن، عيبر: (2007)، ص 27.

⁴ إيمار، أندريه، وجانين، أوبوايه: (1986)، ص 468.

والفكر الروماني، على انتقاء ما يناسبهم من أفكار هذه الفلسفات، مع عناية خاصّة بالجانب الأخلاقي¹، ومن أبرز تلك الفلسفات الفلسفة الرواقية، التي كان الجهد الأكبر لمفكرها ينصب على ميدان الأخلاق. ولم تلبث الفلسفة الرواقية أن أصبحت فلسفة عملية؛ مما يتفق مع المزاج والعقلية الرومانية، واعتنتها فئات اجتماعية مختلفة، كما اهتمت الرواقية الرومانية بمسائل عديدة كالمسائل التي تمسّ السلوك اليومي للمواطن العادي، وهكذا قام المذهب الرواقي بإرساء مجموعة ضخمة من القواعد التي تحكم السلوك الإنساني، بما يحقق مصلحة الدولة في آنٍ واحد².

وقد كان المذهب الرواقي يحمل بعض التناقض تجاه المسائل التي قد تشغل الإنسان مثل: الإله، والخلود، وحرية الإرادة، والموت، ومع ذلك فقد أقام هذا المذهب، فوق كل هذه المواقف المتناقضة والشكّاية، مثلاً أعلى من الأخلاق النبيلة؛ فلا المشاكل ولا الهموم تؤثر في الحكيم الرواقي، فهو فوق الثراء، وفوق الفقراء، وفوق الآراء التي تؤيده أو تنتقده، وهو يعمل كل شيء بوازع من ضميره، رؤوف بأصدقائه، غفور لأعدائه، يحترم جيرانه في المدينة؛ ونتيجة لتلك الآراء فرض الرواقيون على أنفسهم نوعاً من العزلة والانقطاع عن الناس³.

كما كان للمذهب الرواقي تأثير كبير في القانون الروماني؛ فكثير من رجال القانون الرومان كانوا رواقيين، فأوحى هذا المذهب إلى الرواقيين من رجال القانون بإمكانية وجود أساس مشترك للفكر الإنساني، وبالتالي ظهر قانون الأمم الذي يمكن تطبيقه على جميع أجناس البشر، كما كان للفكر الرواقي أثر كبير في تحسين معاملة العبيد؛ فنشر هذا المذهب المحبة والأخوة والتعاطف بين الناس، أما الفلسفة الأخرى التي ظهرت في روما، فهي الفلسفة الأبيقورية الذي ذهب إلى أن اللذة هي الهدف الأسمى للإنسان، وهي المعيار الأوحد للخير، فلم تنتشر انتشاراً واسعاً في روما مثلما انتشرت الرواقية⁴.

¹ نصحي، ابراهيم: (1978)، ص 803.

² Albert, (p): (1871), p. 152.

³ نصحي، ابراهيم: (1978)، ص 806.

⁴ حلمي مطر، أميرة: (1977)، ص 146.

إنما ظهر أتباع هذه الفلسفة في شكل جماعات متفرقة من الأصدقاء، يجمعهم ولاؤهم لمؤسس هذا المذهب "أبيقور"، وتربطهم قواعد معينة تتحكم في حياتهم، ويؤثرون الحياة الهادئة بعيداً عن السياسة والحرب، كما أنهم امتنعوا عن تقلد الوظائف العامة، وعن الحياة العمّة في بلد يتطلب من مواطنيه المشاركة الفعّالة في نواحي الحياة كلها¹. وقد نادى الأبيقوريون بأن الخوف هو الانفعال الأعنف، والأشدّ تأثيراً في كيان البشر، وقد يأخذ صوراً شتى؛ مثل الخوف من الآلهة، أو الموت، أو حياة القبر، أو الألم، حيث دعا الأبيقوريون إلى تحطيم هذا الخوف، عن طريق تحطيم الإيمان بالآلهة، الذين لا يولون البشر أدنى اهتمام، وتحطيم الخوف من حياة ما بعد الموت؛ لأنه ما من روح خالدة، وهكذا يستطيع الإنسان أن يحيا سعيداً².

6- الأدب:

رغم أن الأدب الروماني قد تأثر كثيراً، منذ بدايته حوالي 240 ق.م، بنظيره الإغريقي، فإنه أبقى في طابعه الخاص، والذي يتميز بقلّة استخدام المحسنات البديعية، والصور البيانية؛ فالرومان يرونها بعين التملق عندما توظف بصورة مبالغ فيها، واعتبرت هذه الفترة الطور الأول في تاريخ الأدب الروماني، ودامت حتى سنة 82 ق.م، أما الطور الثاني الذهبي فقسم إلى مرحلتين؛ تمتد المرحلة الأولى منها بين عامي 82 ق.م و 43 ق.م، ويسمى المختصون بالأدب اللاتيني فترة شيشرون، ويعتبرونها قمة التطور الأدبي، رغم أنه ليس وحده من أوصل النثر اللاتيني والخطابة إلى أوج قوتها³.

¹ كويلستون، فردريك: (2002)، ص 275.

² بران، جان: (1992)، ص 81.

³ تشارلز، ورت: (2003)، ص 127-128.

ويستمر العصر الذهبي للأدب اللاتيني في مرحلته الثانية من 43 ق.م، إلى 14 م؛ حيث بلغ الأدب ذروته نظراً لوفرة الإنتاج الأدبي في مختلف المجالات، فاشتهر فرجيل¹ وأوفيدوس² في الشعر، وتيتوس ليفيوس في الملاحم، أما الطور الثالث فهو الذي لم يشهد فيه الأدب تقدماً كبيراً. ومن أبرز أنواع الأدب:

أ- الملاحم والشعر:

من أبرز الملاحم هي تلك التي ألفها بوبليوس فرجيليوس مارو Publius Vergilius Maro ومنها غناء الرعاة Ecologe؛ وهي عشر قصائد قصيرة وصف فيها حياة الرعي، وطرح من خلالها مشكلة مصادرة أراضي الملاك، ومنح كبار المحاربين إيّاها، وكانت هذه القصائد يسودها الجو الريفي البسيط، الذي تتبع منه السعادة التي تبعث على الطمأنينة، حسب وصف فرجيليوس.

وبالنسبة للإنبياء فقد ألفها على رغبة أوكتافيوس أوغسطس، وظلّ معتكفاً عليها إلى قبيل أن توافيه المنية عام 29 ق.م، وقد ألفها على النمط اليوناني، مستلهماً من هوميروس ما قدّمه في الأوديسا، غير أنه جعل بطل ملحمة مؤسس روما. كما اشتهر كثير من الشعراء؛ لأنهم تناولوا أحداثاً من الواقع، محاولين معالجة المسائل الأخلاقية بأسلوب نقدي، حتى أنهم لم يرحموا أصحاب الثروات الفاسدين³.

¹ فرجيل: ولد بالقرب من مانتو Manteu في عام 70 ق.م، تلقى تعليمه في نابولي وروما، تطور فرجيليوس في مجال الآداب الملحمة تدريجياً بوضع سمات مميزة لأسلوبه في بناء الأفكار، وترتيب الأوزان المناسبة للكتابة، باختيار موضوعات هامة وصيها في قالب أدبي شيق مقدما بذلك قيم ودروس للحياة. للمزيد من المعلومات انظر: عبد التواب، علي رمضان السيد، صلاح: (د.ت)، ص 359.

² أوفيدوس: هو بوبليوس أوفيدوس ناسو Publius Ovidius Naso. من مدينة سولمو Sulmo ينتمي إلى طبقة الفرسان، واشتغل مناصب إدارية عدة، ليتوجه بعدها للشعر، كرس أوفيدوس سنواته الأولى من مسيرته الشعرية في شعر الحب والنصائح والملاحفات النفسية في فن المحبة، ودائما ما يسيطر الحب على هذه الكتب فكانت Amores وهي مقسمة إلى ثلاث كتب تحكي قصة حي أوفيدوس مع امرأة يسميها كورينا، أما رسائل البطلات Heroides فكانت عبارة عن رسائل وهمية، بأقلام شخصيات أسطورية نسائية يعبرن عن حبهن سواء لعشاقهن أو أزواجهن وهي مكونة من 21 رسالة وفن الهوى مقسمة إلى ثلاث كتب، خصص الكتابين الأول والثاني للرجال، والكتاب الثالث للنساء. للمزيد من المعلومات انظر: الناصري، سيد أحمد علي: ((1991))، ص 111.

³ الناصري، سيد أحمد علي: ((1991))، ص 109.

7- المكتبات:

خلال القرون الخمسة الأولى من نشأة مدينة روما، لم تكن هناك أية مكتبات؛ فقد شغل الرومان أنفسهم بالزراعة والحروب والفتوحات، ولم يكن لديهم الوقت الكافي للتعلم والتثقف، ولكن نتيجة لانتشار العلم في المجتمع الروماني بدأ الرومان بإنشاء مكتبات خاصة بهم، وقد تكونت مكتباتهم، في أول الأمر، من الغنائم والأسلاب التي ظفروا بها من الإغريق، وغيرهم من الشعوب الأخرى التي انتصروا عليها¹. وقد انقسمت المكتبات في روما إلى قسمين:

1- المكتبات العامة:

مع بداية العصر الإمبراطوري، تجمع في روما عدد من كبير من رجالات الفكر والأدب والمتقنين، القادمين من مناطق البحر المتوسط المختلفة؛ الأمر الذي دفع الأباطرة إلى إنشاء مكتبات كبيرة، غنية بالكتب، فبنى الإمبراطور أوغسطس Augustus مكتبتين كبيرتين بالقرب من منزل زوجته، وقد أنشأ المكتبة الثانية على شرف أخته².

واستمر الأباطرة الذين خلفوا الإمبراطور أوغسطس في بناء المكتبات؛ فقد أنشأ الإمبراطور تراجان³ Tajan مكتبة بالقرب من ساحة الفوروم الروماني⁴، وتألفت هذه المكتبة من بنائين متقابلين يقوم بينهما عمود تراجان الضخم.

ولم تخل المقاطعات والولايات الرومانية من المكتبات العامة، التي كانت الأموال تُرصد لها لصيانتها باستمرار؛ فقد حرصت البلديات، في هذه المقاطعات الرومانية، على صرف منح سنوية

¹ مترو، بول: (1949)، ص 201.

² أبو العطاء، الحسين إبراهيم: (2007)، ص 232.

³ الإمبراطور تراجان: ولد في مدينة بينكا في جنوب إسبانيا، ويعد من أوائل أبناء عائلته بأن أصبح عضواً في مجلس الشيوخ، ومن ثم ارتقى إلى رتبة القنصل قبل أن يصبح حاكماً على آسيا وسورية. أمضى تراجان عشر سنوات من حكمه وهو يخدم في الجيش، ومن ثم ترقى إلى رتبة ضابط في الحرس الإمبراطوري حين قاد أحد الجيوش لقتال ساتورنينوس الذي ثار ضد دوميتيان في عام 88 م، وبعد استلامه لمنصب قنصل عام 91 م، تم ترقّيه ليصبح حاكماً على ألمانيا العليا في عام 97 م، حيث تلقى نبأ تبنيه من قبل الإمبراطور نيرفا، وبعد وفاة نيرفا عُيّن إمبراطوراً. للمزيد من المعلومات انظر: perowen, S: (1960), p. 245.

⁴ ساحة الفوروم: هو سوق المدينة في روما، وقد جرت العادة فيه أعمال البيع والشراء، وهو ملتقى اجتماعي هام. للمزيد من المعلومات انظر: ولز، ه.ز: (د.ت.)، ص 193.

للمتفوقين، أو لمن يستخدم المكتبة، ويستغلها استغلالاً حسناً. ونظراً لازدياد إنتاج الكتب في روما، بسبب حاجة الأفراد إليها في نشاطهم العلمي والأدبي، فقد انتشرت في روما متاجر الكتب، وكان تقع في أحسن المناطق وأكثرها ازدحاماً، وكانت المكتبات أماكن التقاء المتففين والباحثين وهواة جمع الكتب¹.

كما انتشرت عادة أن تجار الكتب الرومان كانوا يسمحون بقراءة الكتب النادرة والقيمة مقابل أجر، وإلى جانب تجار الكتب العاديين، كان هناك الكتابيون الذي كانوا يبيعون كتبهم بسعر أرخص في الساحات، وعلى قارعات الطرق².

2- المكتبات الخاصة:

أصبحت المكتبة جزءاً أساسياً في بيت أي عظيم في روما، ولم يعد ذلك ترفاً في بيوت التجارة والعامة، حتى عند الأميين. ووصل اهتمام بعض الأفراد الرومان بالكتب إلى المبالغة في جمع الكتب النفيسة؛ تمثيلاً مع الاتجاه السائد في المجتمع الروماني الراقى؛ إذ ينتقد الفيلسوف سينيكا ذلك بقوله: "إن إنفاق المال على الدراسات أمر حميد، ولكن ليس له ما يسوّغه إن تخطى الحدود المعقولة، فما فائدة كتب ومكتبات لا حصر لها، لا يستطيع أصحابها طوال سنيّ عمرهم، أن يقرأوا بالكّد عناوينها"³.

يتضح مما قاله سينيكا أن بعض الأفراد كانوا يقتنون هذه الكتب لمجرد الديكور، من دون أن يكونوا على اطلاع بما تحويه هذه الكتب من معلومات، وقد اشتد هوس جمع أكبر عدد ممكن من الكتب، ليس بين

¹ أبو العطاء، الحسين ابراهيم: (2007)، ص 233.

² المرجع نفسه، ص 232.

³ Seneca, IX, 14.

الطبقات الراقية فحسب، بل بين الطبقات المتوسطة أيضاً، فلم يكن ثمة بيت إلا فيه مكتبة فاخرة أو عادية¹.

من خلال ما سبق عرضه في هذا الفصل، تبين أن المدرسة هي المؤسسة التربوية الهامة في سلم التنشئة الاجتماعية، حيث يبدأ الطفل بالالتحاق بمعلم المرحلة الابتدائية في سن السابعة ولا يغادر منها إلا في سن الثالثة عشر أو الرابعة عشر، يدرس فيها القراءة والكتابة والحساب، ويتعرض للعقاب في حال تقصيره، وكنقيم لهذه المرحلة يمكن القول بأن مرحلة التعليم الابتدائي كانت ناجحة إلى حد ما، لأنها وفّرت كل السبل والإمكانيات للطفل من أجل أن يكون له تحصيل علمي ناجح، بداية بالبيداغوج والمعلم، إضافة إلى الاستعانة بالكتب والأفكار الإغريقية، لذا فنجاح الطفل في مراحل التعليمية يتعلّق أساساً بنجاح المرحلة الابتدائية منها، أما المدارس النحوية والبلاغية فقد واصل التعليم فيها من هم أقدر على تحمل التكاليف المادية، كما نتج عن من تابع دراسته في هذه المراحل نخبة من رجال القانون والأدب والطب.

¹ Ibid., IX, 14.

الفصل الثالث

التربية في العصر الإمبراطوري

أولاً: دور العائلة في تربية الأبناء

ثانياً: دور التربية البدنية في التربية العسكرية

ثالثاً: الإعداد العسكري

رابعاً: الألعاب الرياضية

تمتعت روما بمكانة مرموقة، بفضل ما قدمه الأدباء، من شعر وخطابة وغيرهما من فنون أدبية، ولم تقتصر إبداعات الشعب الروماني في هذا المجال فحسب، فقد عرفت الإمبراطورية الرومانية خلال القرن الثالث الميلادي، إقبالاً على أنشطة ترفيهية عرفت باسم "الألعاب الرياضية"، وقد شملت أنشطة متعددة، مثل الملاكمة ورمي القرص وركوب الخيل وغيرها من أنشطة، وكان لهذه الأنشطة دوراً في تطور الجيش الروماني، وبروز قوته، من خلال التدريبات التي تلقاها. أما الأسرة الرومانية فقد أدت دوراً كبيراً في الإشراف على تربية الأبناء، وغرس الطاعة والواجب فيهم؛ في سبيل إعداد جيل من المواطنين الصالحين الذين يتسمون بالصلابة والرجولة، ورغم ما وصلت إليه بعض الأسر أحياناً من انحلال أخلاقي، فإنه كانت هناك محاولات عديدة لإصلاحها؛ وذلك للحفاظ على وحدة المجتمع وتماسكه.

أولاً: دور الأسرة في تربية الأبناء:

تعد الأسرة حجر الأساس في بناء أي مجتمع في العالم القديم والحديث، فالمجتمع التقليدي يتكون أساساً من مجموعة من الأسر والعشائر والقبائل، ولا يخرج عن هذه القاعدة المجتمع الروماني الذي يتكون من الأسرة، التي حظي فيها الأب بمكانة سامية؛ فهو الزوج والأب وسيد الأسرة الذي يجب عليه القيام بكل الواجبات؛ كراعية الأسرة وتأمين حاجاتها¹. أما الزوجة فكانت لها مكانتها الكبيرة؛ لكونها الأم والزوجة، والقائمة على رعاية الأولاد. كانت الأسرة الرومانية على عكس ما هو معتاد في نظام الأسرة، فهي تضم إلى جانب الأب والأم والأولاد، الخدم والأتباع، ويوجد في كل بيت روماني موقد للربة فيستا Vesta وهي حامية البيت من الأرواح الشريرة. ويمكن اعتبار الأسرة الرومانية من أهم التكوينات الاجتماعية في المجتمع الروماني².

¹ نصحي، إبراهيم: (1978)، ص 89.

² رزق الله أيوب، إبراهيم: (1996)، ص 107.

-الأب Pater:

هو سيّد الأسرة وراعيها، وكانت له سلطة مطلقة على الأسرة فيما يعرف باصطلاح *parta potestas* كونه المسؤول عنها وعن أفرادها؛ من حيث توفير سبل المعيشة، وهو المسؤول عن ثروة الأسرة وترابطها الاجتماعي، وإذا سمح الأب لابن أو لعبد بأن يمتلك شيئاً فهذا تفضل وتنازل منه، وهو ما يعرف باسم *peculium* وكان بإمكان رب الأسرة أن يصدر أمراً بالموت على الزوجة أو الابن¹.

وعلى الرغم من تدخل القانون الروماني تدريجياً لحماية أعضاء الأسرة من سلطة الأب المطلقة، فإن عليه واجبات مثل رعاية الأسرة، وتأمين الحاجات المعيشية لها، وتقديم القرابين وإقامة الشعائر الدينية. كانت سلطة الأب تسقط بموته، أو بفقدانه حقوق المواطنة، أو بكتابة عقد يحرر بمقتضاه الأبناء من سلطته². كذلك سمح القانون أو العرف الروماني بتنازل الأب عن سلطته لإنسان غيره، في حال التبني أو زواج بناته اللاتي كنّ يخضعن لسلطة أزواجهنّ. وعند بلوغ الابن مبلغ الرجال، يمارس سلطته بوصفه مواطناً حراً، من دون أن يتعارض ذلك مع سلطات الأب، أو يسمح للابن بامتلاكه؛ لأن القانون الروماني لا يسمح لأحد بأن يتحكم بممتلكات الأسرة إلا بموافقة الأب³.

-الأم أو الزوجة Mater:

كانت منزلة الأم في روما أعلى بكثير من منزلتها في بلاد الإغريق؛ فالمرأة الرومانية كانت تتمتع بمكانة بارزة داخل الأسرة؛ فهي الأم والسيدة الأولى في المنزل، وكان حقها محفوظاً بموجب الزواج، وكان لها مهام وواجبات في تسيير شؤون البيت، وكانت تسيطر على العبيد، وكانت توزع بينهم

¹ المرجع نفسه، ص 107.

² مترو، بول: (1949)، ص 184.

³ السعدني، محمود إبراهيم: (2007)، ص 63.

الأعمال المنزلية الشاقة، مثل طحن الحبوب وخبز الخبز، وكانت تشارك زوجها في الاحتفالات الاجتماعية واستقبال الضيوف، فكانت تتمتع بالتقدير والاحترام من قبل أفراد الأسرة قاطبة¹.

-الأبناء Liber:

وهم أبناء الأسرة سواء أكانت صغيرة أم كبيرة، يعيش في كنفها الأبناء غير المتزوجين، وكان عملهم يتمثل في مساعدة الأب على إنجاز الأعمال خارج المنزل، ومساعدة الأم في داخله². ومن أجل الحفاظ على كيان الأسرة وبقيائها، فلا بدّ من وجود أبناء في الأسرة، ولو على الأقل ابناً واحداً. وإذا لم يكن للأب ولدٌ أو نسيبٌ، فقد كان باستطاعته أن يتبنى ولداً آخر؛ حتى تنتقل إليه السلطة بعد وفاة الأب، وقد لجأ الرومان إلى نظام التبني في حال قصور نظام الأزواج عن تحقيق الغرض الرئيسي منه وهو الإنجاب، وكان هذا الولد يخضع لسلطة الأب الذي تبناه، ولا يتعبّد إلا إلى آلهة الأسرة الجديدة³.

أما إذا كان للأب المتوفّى غير ولد واحد، فعندئذ يصبح الراشدون منهم كالآباء يتقاسمون أملاك الأسرة الأصلية، في حين تبقى الأم والبنات غير المتزوجات، والأبناء القاصرون تحت سلطة أحد الأبناء الراشدين، حتى تتزوج البنات ويبلغ القاصرون سنّ الرشد؛ حيث ينتقل هؤلاء جميعاً إلى سلطة أب أقرب إلى أب الأسرة المتوفّى.

-العبيد Servi:

هم في الأصل كانوا أسرى حرب، أو خطفوا من قبل القراصنة، حيث كانوا يباعون في سوق النخاسة، ويشتريهم الأثرياء الرومان بأسعار بخسة؛ كي يعملوا في ضياعهم الفسيحة، وكان ربّ الأسرة التي يعملون فيها يمارس عليهم سلطته المعروفة باللاتينية باسم: Dominica potestas⁴.

¹ نصحي، إبراهيم: (1978)، ص 217.

² السعدني، محمود إبراهيم: (2007) ص 64.

³ رزق الله أيوب، إبراهيم: (1996)، ص 107.

⁴ أحمد علي، عبد اللطيف: (1973)، ص 115.

-الأتباع أو الموالي Clientles:

هم أناس أحرار وليسوا عبيداً، ولكنهم أتباع لأسيادهم، يقومون دائماً على خدمتهم، ويكونون رهن إشارتهم في كل شيء، مقابل ما يجود به عليهم هؤلاء الأسياد من نعم وهبات، ولهذا كانوا يربطون مصيرهم بحياة سيدهم، وكان الأتباع يساهمون في تحقيق نوع من النفوذ السياسي والاجتماعي، وكانت سلطة الأب تمثل الحامي لهم، أو الوالي عليهم، والمتعهد بحمايتهم¹. بعد استعراض مكونات الأسرة، لابدّ من التطرق إلى دورها في تربية الأبناء ورعايتهم.

اتفق معظم المفكرين على أن التربية تشمل كل العمليات التي ترمي إلى تكامل الفرد جسدياً وعقلياً وخلقياً ووجدانياً، وتهدف إلى دمج الطفل في بيئته وتأهيله لحمل مسؤوليات اجتماعية واقتصادية وأخلاقية، ولهذا لم يخلُ أي مجتمع من ممارسة فعل التربية لفائدة أبنائه، وذلك لإيمانه بالتأثير العميق لفعل التربية في كيان أي مجتمع وديمومته، فكانت الأسرة هي المؤسسة الأولى في تربية الطفل². هذا وتعتبر الأم هي المسؤولة عن تربية الأطفال، فكانت الوظيفة الأساسية لها بعد الزواج، هي القيام بدورها البيولوجي؛ أي الحمل والإنجاب والرضاعة، وما يتبع ذلك من رعاية مادية ومعنوية لأطفالها، والكثيرات من النسوة يفضلن الإنجاب، ويهرعن إلى القابلات في حال تأخرهن عنه، أو إلى الأطباء ليأخذن منهم النصائح والإرشادات بخصوص الحمل والولادة، من أجل سلامتهن وصحة أجنتهن؛ حيث فسروا لهنّ مختلف الطرق السليمة للتغذية، وعددوا لهنّ الأمور التي يجب أن يتجنبنها خلال هذه الفترة؛ مثل القفز وحمل الأشياء الثقيلة، وكانت النساء العاقرات في كثير من الأحيان يطلقن من قبل أزواجهن؛ بسبب عدم قدرتهن على الإنجاب³، وهذا إن دل على شيء، فإنما يدل على حاجة الأسرة إلى الأطفال والنسل.

¹ السعدني، محمود إبراهيم: (2007) ص 65.

² Gourvitch. Danielle: (2001), p. 117.

³ الأندلسي، نظار: (2017)، ص 114.

وكان الطفل يُغسل مباشرة بعد الولادة بالماء الدافئ، الذي سماه المؤرخون الرومان بالحمام الدافئ، والذي يحمل العديد من الأبعاد الاجتماعية والطبية المهمة؛ حيث يتعرّف الطفل على أهم العناصر الأرضية وهو الماء¹.

وهي المرحلة التي تفصل جسد الطفل نهائياً عن حياة الرحم، ويصبح مقبولاً في الأسرة، ثم يتم تنظيف الطفل ولا سيما الفم، والأنف والأذنين، وفرك الجلد بالماء الدافئ والملح، وقد أكد أغلب المؤرخين أن الطفل كان يُقَمَط بوساطة العديد من اللفائف والكتان، من أجل حماية جسده الهزيل². كما كان لموضوع رضاعة الطفل قدسية كبيرة عند الأمهات، رغم وجود بعض النسوة اللواتي امتنعن عن إرضاع أطفالهن؛ حفاظاً على جمالهن، ولا سيما أن فترة الرضاعة كانت طويلة، وتصل إلى حدود ثلاث سنوات، وكنّ يستعنّ بالمرضعات اللاتي كنّ من طبقاتٍ أدنى (طبقة العبيد أو الطبقة الوسطى)³. ولم تكن الأم وحدها هي المسؤولة عن تربية الأطفال؛ فكان الأب هو المسؤول الثاني عن التربية، وصاحب السلطة على الأسرة بشكل عام، وعلى الأطفال بشكل خاص، بحيث له الحق المطلق بالتصرف بمصير أبنائه، ومن جهة أخرى كان من واجبه السهر على توفير حاجات الأسرة من مأكّل وملبس ومأوى وحماية⁴، كما يساهم في جهة أخرى في التربية والتنشئة الاجتماعية، ويكون تأثيره أكثر على الذكور؛ حيث يرافق الصبيان في العادة آباءهم خارج البيت؛ لكي يتعلموا أصول المعاملة ضمن معشر الرجال، ويكتسبون معلومات ومهارات مهن الأب أو صناعته، لكي يتقلدها عند الكبر. هذا، ويظهر الأب من خلال الكتابات الأدبية، في الغالب، بنوع من القسوة في المعاملة مع أبنائه الصغار⁵. وعلى النقيض من ذلك، تؤكد بعض النقوش اللاتينية العاطفة التي كانت تربط الآباء بالأبناء. ويمكن أن نتعرف على عاطفة الأسرة ودورها في تربية الطفل، من خلال ما ذكرته النصوص الأدبية، التي أشارت إلى الخطاب العاطفي، الذي يرافقه اتصال جسدي بين الوالدين وأبنائهم الصغار، فكثيراً ما وجدت كلمات مثل التقبيل،

¹ المرجع نفسه، ص 115.

² V.Dasen, (2011), p. 300.

³ Plutarque, I, 5.

⁴ V.Dasen, (2011), p. 300.

⁵ العبيدي التوزري، إبراهيم: (1967): ص 20.

الاحتضان، المرافقة، المعانقة، وأبرز الأمثلة على هذه العاطفة، رثاء إحدى الأمهات المنقوش على أحد الأنصاب الموضوعة على قبر ابنها الصغير: "كم مرة أعطيت قبلاتك الحلوة لأمك، وكم مرة احتضنت ذراعها عندما كنت على قيد الحياة، كنت الصديق اللطيف، ولو علمت أنه سيؤخذ مني هكذا وهو صغير، لتمنيت أن أرافقه إلى العالم السفلي"¹. نلاحظ عاطفة الحب تجاه الأطفال، من خلال العبارات التي كتبت على النقوش اللاتينية التشريفية أو الجنائزية؛ فكثير هي الأمثلة التي يكتب فيها الوالدان نقوشاً على شرف أبنائهم الصغار، ويضمنونها عبارات ودية تدل على مدى حبهم.

ومنذ القرن الثاني ق.م، بدأت ظاهرة التفكك الأسري تظهر في المجتمع الروماني؛ نتيجةً للانحلال الأخلاقي؛ فكثيرات من النسوة استطعن التحرر من سلطة الزوج، وامتلاكهن حرية التصرف في الممتلكات التي حصلن عليها نتيجة ميراث²، وفي ظل هذا الانحلال والبلذخ، انتشرت العلاقات غير الشرعية، كما شاع الطلاق لعدة أسباب، بعد أن كان مفهوم الزواج عند الرومان رباطاً مقدساً بين كلا الزوجين، يجمع بينهما مدى الحياة، وهو الرغبة السليمة الصادقة في الحصول على أزواج يتعاون بعضهم مع بعض في مختلف الأعمال، وينجبون أطفالاً يكونون عوناً لهم على مصاعب الحياة³.

غير أن هذا المفهوم ما لبث أن تغير؛ وفقاً لتطورات المجتمع الجديدة ليصبح الزواج مجرد عقد ضعيف يسهل التحلل منه ويرجع السبب في تغيير مفهوم الزواج إلى العديد من الأسباب؛ فبعض النساء أسرفن في مصاحبة العشاق واتخاذ الخلان، كما أهملت المتزوجات منهن رعاية أبنائهن، والدعائم التي من شأنها الحفاظ على روابط الأسرة، كما امتنع البعض منهن عن إنجاب الأطفال؛ فانتشرت موانع الحمل بأنواعها، وكثرت عمليات الإجهاض⁴، وأصبح تفكير المرأة منصبا على مظهرها وجمالها وشراء المجوهرات والملابس الثمينة التي كانت تدفع لها أموال طائلة.

¹ Ch.Laes: (2017), p. 60- 79.

² ديورانت، ول: (1963)، ص 303.

³ يوسف، عبد الرحمن: (د.ت)، ص 189.

⁴ مونتسكيو: (1954)، ص 162.

أما عن سبب امتناع الرجال عن الزواج، فقد تغيرت نظرهم إلى النساء؛ فهم يرون أنهن أقل حياءً، وأنهن أفرطن في ممارسة الحرية الممنوحة لهن بشكل سيء، وأن الزوجة أصبحت لا تبادل زوجها الاحترام، ولها مطلق الحرية في الذهاب إلى الأماكن العامة، والمنتزهات ودور التمثيل. كذلك عمت الخيانة بين معظم النساء ما أدى إلى كثرة حالات الطلاق¹.

أمام هذه الأوضاع، كان لا بد من إيجاد حل يهدف إلى الإصلاح والتقويم، بيد أن أشهر الإصلاحات الأخلاقية والاجتماعية تبلورت في تلك التي وضعها الامبراطور أوغسطس²؛ فالمجتمع الروماني، كان في أشد الحاجة إلى مثل هذه الإصلاحات بعد تفكك الأسرة الرومانية وانتشار الفساد الأخلاقي؛ فأصدر الإمبراطور أوغسطس قانون Lex Julia³ بين عامي 19 - 17 ق.م الذي كان الهدف منه مقاومة الانحرافات الأخلاقية، وإحياء الفضائل الرومانية القديمة، ومعالجة كل ما يتعلق بموضوع الزواج، كما فرضت هذه القوانين على كل من العزباء والمطلقين والأرامل من الجنسين، مجموعة من العقوبات بهدف الضغط عليهم، وتحفيزهم على الزواج⁴.

مما سبق يتضح أن ما وصل إليه المجتمع الروماني، من حالة ركود وانحطاط أخلاقي، وما تمخض عن ذلك من إهمال العديد من الأساسيات التي يرتكز عليها قيام أي مجتمع نموذجي متكامل، كان هو الدافع الذي دفع الإمبراطور أوغسطس إلى وضع طائفة من القوانين التي حاول من خلالها تقويم كل الظواهر الخاطئة، من دون إهمال أي جانب منها.

¹ عبد الغني، محمد السيد: (1999)، ص 145.

² أوغسطس: ولد أكتافيوس قيصر سنة 63 ق.م، ينحدر في الأصل من أسرة تنتمي إلى مدينة ويلنر وتقع في مقاطعة بولوسكيا، تبناه يوليوس قيصر سنة 45 ق.م وهذا ما جعله الوريث الرسمي والأساسي لعرش روما، زواجه الأول كان من كلوديا ابنة انطونيوس لكن هذا الزواج لم لينجح وتزوج بعدها من سكريبونيا التي تنتسب إلى عائلة بومبي ثم طلقها وتزوج من ليفيا التي تنحدر من عائلة رومانية شهيرة، توفي أوغسطس عام 14 م. عن عمر يناهز 75 سنة، قضى منها 44 سنة امبراطوراً على الدولة الرومانية. للمزيد من المعلومات انظر: سيد علي، أحمد الناصر: (1991)، ص 23.

³ قانون جوليا Lex Julia (736 - 18 ق.م): القانون المقترح من قبل أوغسطس يميل لتشجيع المواطنين على الزواج وإنجاب الأطفال، للحفاظ على بقاء النسب، على الأقل في ترتيب مجلس الشيوخ لتحقيق الهدف الأول، ويزيل القانون عوائق الزواج الناتجة عن السلطة الأبوية أو رعاية الأب. وتمنح امتيازات للمتزوجين وخاصة لأولئك الذين لديهم أطفال، تم تجديد قانون جوليا بواسطة ديون كاسيوس Dion Cassius تم تأكيد شهادته من خلال نقش عثر عليه في روما عام 1890م. للمزيد من المعلومات انظر: Arthur, E.R: (1970), p. 281.

⁴ Dio, Cassius, LV.13.

وعلى الرغم من نيته الأكيدة في عملية الإصلاح والتقويم، فإن بعض النصوص جاءت بمقام المنفذ للاستمرار في ممارسة بعض تلك السلوكيات؛ وهذا ما يظهر من خلال النص القانوني الذي أباح للرجال حرية الاتصال الجنسي بعاهرات الحانات والمواخير، من دون أن يعتبر الاتصال بهنّ جريمة زنى¹.

فإذا ما أخذ بعين الاعتبار تمكن النساء من التحايل على هذا القانون الأغسطي قد ساعد في تفشي تلك الظاهرة؛ لأنه لم يقيد الرجال ولا العاهرات بعقوبات مماثلة لتلك التي فرضها على النساء، ومع هذا لا يمكن إنكار أنّ هذه القوانين جاءت قوية وراذعة للعديد من الظواهر؛ بهدف استرجاع قيم البساطة والأخلاق السامية، والمثل العليا التي كانت الأسر الرومانية تتمتع بها قديماً².

ثانياً: دور التربية البدنية في التربية العسكرية:

مرّ الجيش الروماني بمراحل هامّة في تاريخ روما من نشأتها، وتشكيل النواة الأولى من القبائل الكبرى التي تسكنها، حيث حاولت خلق قوة عسكرية شعبية من المواطنين الرومان الأحرار؛ للدفاع عن شعبها وحدودها من غزو الأعداء. ومنذ العصر الملكي وصولاً إلى العصر الإمبراطوري، كانت روما تسعى إلى توحيد قوتها العسكرية لمجابهة الأخطار والغزوات من جهة، ولتوسيع رقعتها الجغرافية من جهة أخرى، وقد مرّ الجيش الروماني في هذه الآونة بمراحل عديدة، منذ نشأته وطوال مسار تكوينه، وقد شهدت آليات التجنيد في صفوفه تغييرات وتطورات كثيرة منذ البداية إلى أن أصبح أقوى جيش في العالم؛ من خلال التدريبات التي تلقاها، ومن أهم المراحل التي مرّ بها الجيش الروماني:

1- الجيش الروماني خلال العصر الملكي (753 - 509 ق.م):

¹ دونالد، ر، ولي: (1963)، ص 207.

² المرجع نفسه، ص 207.

كانت روما خلال العصر الملكي، ذات نظام قبائلي، ينضوي سكانها تحت ثلاث قبائل كبرى تسمى Tribus، وكل قبيلة مقسمة إلى عشر وحدات تسمى curiae كورياي، حيث كانت القبيلة الأولى تسمى تيتس ويسمى سكانها السابينين، والثانية هي قبيلة رومنس ويسمى سكانها اللاتين، والثالثة هي قبيلة لوغرس ويسمى سكانها الإيتروسكيين¹.

والهدف الرئيسي من هذا التقسيم أن تؤدي كل قبيلة نصيباً من احتياج روما إلى مال وجنود. قام ملوك العصر الجمهوري بإصلاحات في الجيش؛ ومن أبرز تلك الإصلاحات التي أدخلها الملك سرفيوس² اشتراطه على المواطنين الأغنياء والفقراء أن يجهزوا أنفسهم بأنفسهم، والذي يعجزه الفقر عن تجهيز نفسه يخدم في صفوف الدعم المختلفة مثل التموين والهندسة وخدمات أخرى³. وكانت الخدمة العسكرية إجبارية على كلٍّ متمتع بالمواطنة الرومانية، وبالغ سن السابعة عشرة كاملةً إلى غاية الستين سنة عند الضرورة، ويعد ذلك تحت الطلب عندما يتقرر خوض حرب ما، وقرر إلغاء تجنيد الطبقة الكادحة، وعوض عن ذلك بمجندين من المشاة الخفيفة المجهزة جيداً، وأعفى كل من لم يكن لديه ممتلكات؛ وبذلك استبعد الفقراء بسبب عجزهم عن تجهيز أنفسهم بالعدة والعتاد⁴.

واعتبرت الخدمة العسكرية في الجيش الروماني من مسؤولية المدنيين، وباتت إحدى طرق رفع المكانة الاجتماعية وكسب الهيبة، ولكن مع احتياج روما إلى الجيش وتزايد طموحاتها التوسعية، أصبحت بحاجة لكل مواطن لكي يخدم في الجيش الروماني، فتمّ بذلك إلغاء قرار إقصاء الفقراء عن

¹ محمد البشير، شنييتي: (2013)، ص 185.

² الملك سرفيوس: تروي الأساطير الرومانية أن سرفيوس توليوس كان أحكم ملوك الرومان، وأشدهم حباً للعمل، وقد تضاربت الأقوال حول أصله، فقيل أنه ابن عبدة لاتينية، وقيل أنه أتروسكي الأصل اسمه الحقيقي ماستارنا Mastarna وفي خلال فترة حكمه الذي بلغ أربعاً وأربعين عاماً لم يدخل حرباً إلا فيما هو ضروري لأنه كان محباً للسلام ونشر المدنية والتقدم كما تقول الروايات أن نهايته كانت حزينة إذ سقط صريعاً نتيجة مؤامرة غادرة دبّرها أحد أحفاد لوكيوس تاركوينوس برييكوس. للمزيد من المعلومات انظر:

علي الناصري، سيد أحمد: (1982)، 27-28.

³ محمد البشير، شنييتي: (2013)، ص 185.

⁴ نصحي، إبراهيم: (1983)، ص 198.

الجيش؛ فأصبح الجيش بمختلف قواته يقبل تجنيد مختلف فئات الرومان، وبذلك يظهر أن نمط التجنيد في الجيش إلزامي، وجبت تأديته تجاه الدولة الرومانية¹.

2- الجيش في العصر الجمهوري (509 - 27 ق.م):

بعد القضاء على النظام الملكي، وطرد آخر ملك أتروسكي سنة 509 ق.م، دخلت روما عصراً جديداً هو العصر الجمهوري، الذي آل الحكم فيه إلى القناصل، وبدأت ملامح السياسة التوسعية الرومانية تظهر؛ لذلك توجب على روما في هذا العصر إعداد جيش قوي، قادر على حماية الأقاليم التي ستخضع لها²، وكان أهم إجراء إصلاحي ما قام به القنصل ماريوس³ الذي أنشأ جيشاً نظامياً، يتقاضى فيه العاملون رواتب نظامية؛ وذلك لمواجهة الحروب الكثيرة، والمستمرة، وحددت مدة الخدمة العسكرية في صفوف الجيش بستّ عشر سنة، إذا يكون الجندي بعدها غير قادر على حمل الأسلحة وأجهزة القتال، وجعل الوحدة القتالية مكونة من 600 مقاتل، ويطلق عليها اسم كتيبة؛ وتتألف من 10 وحدات، وأضاف إليها 1000 فارس من المتطوعين، ليصبح تعداد الفيلق 700 مقاتل، ويتكون التشكيل الذي يسمى فيلقاً من وحدات أو زمر تسمى مانيبوليس؛ وتعني زمرة من الجنود، ويرجع أصل هذه التسمية إلى الطريقة التي كانت المشاة الثقيلة التسليح تنتشر بها⁴؛ وهي هيئة مجاميع تتألف كل وحدة شردمية من 12 مقاتل من مختلف الفئات، وقد أعطاها عددها القليل ميزة سهولة التحرك في أثناء المعركة، وتقسم إلى ثلاث فئات؛ حيث نجد الرمحين في الفرقة الأولى

¹ المرجع نفسه، ص 202.

² عادل عبد الحق، سليم: (1959)، ص 97.

³ القنصل ماريوس G. Marius: ولد ماريوس عام 157 ق.م، ينتمي إلى أسرة إيطالية الأصل من طبقة الفرسان، خدم ماريوس تحت قيادة سكيبيو إيميليانوس في إيبيريا في حرب نوميديا، وبفضل مهارته وشجاعته كافأه إسكيبيو بترقية إلى مرتبة تربيوناً عسكرياً وفي عام 121 ق.م تولى الكويستورية ثم تولى تربيونية العامة سنة 119 ق.م، كم تولى ماريوس القنصلية الأولى عام 107 ق.م، ثم بعد ذلك تولى القنصلية خمس سنوات متتالية من 104 - 100 ق.م، للمرة السابعة عام 86 ق.م، وهو يتناقض مع الدستور الروماني. للمزيد من المعلومات انظر: السعدني، محمود إبراهيم: (2007)، ص 105.

⁴ محمد البشير، شينتي: (2013)، ص 185.

للجيش؛ حيث تُشكل من ثلاث صفوف، يضم كل صف منها 40 مقاتلاً مزودين برماح الرماية، ليصبح عددها الإجمالي 120 مقاتلاً¹.

أما الفئة الثانية فتسمى البيلوم؛ أي سيوف الاشتباك، حيث تكون في الصف الثاني للفيلق، وتحمل السيوف القصيرة أو الخناجر، إلى جانب وجود مجموعة القادة، وتتقسم كل مجموعة من هذه المجموعات إلى عشرة صفوف، يضم كل صف منها 12 مقاتلاً². أما الفئة الثالثة فيطلق عليها Triarii، وهي مجموعة الصف الثالث التي تتشكل من تشكيلين يكونان معاً 600 مقاتل موزعين على عشر صفوف، لكل صف 60 مقاتلاً. وكان هذا التقسيم للفيلق قائماً على معيار السن والخبرة أكثر مما هو قائم على الطبقة والتدرج الاجتماعي؛ حيث إن المجندين الجدد يشكلون الفئة الثانية في صفوف الفيلق، بينما تضم الفئة الثالثة المتمرسين من ذوي الحنكة والخبرة العسكرية، وقد مثل هذا النظام مرحلة الانتقال من مرحلة الجيش المبكر القائم على أساس الطبقة الاجتماعية، فنظام الجيش خلال العصر الجمهوري بدأت الطبقة داخل صفوف الجيش الروماني تتلاشى منه تلاشياً يصب في مصلحة الجيش³.

3- الجيش الروماني خلال العصر الإمبراطوري (27ق.م - 476م):

بدأ العصر الإمبراطوري باعتلاء الإمبراطور غايوس أوكتافوس الملقب بأوغسطس العرش، حيث عرف الجيش الروماني تطوراً جديداً في عهده؛ فقام بتوسيع صفوف الجيش لتشمل وحدات من الأهالي الخاضعين لروما، مقابل منح الجنود المواطنة الرومانية بعد انتهاء مدة الخدمة العسكرية، وقد سميت الوحدات العسكرية المشكلة من هؤلاء المقاتلين باسم الفرق المساعدة، وأصبح الجيش الروماني

¹ المرجع نفسه، ص 189.

² Bernard (A), Et Yves (A): (2000), p. 264.

³ Ibid. p. 264.

النظامي يتكون من 25 فيلقاً؛ أي ما يعادل 150000 مقاتل، وقد رفعت مدة الخدمة العسكرية إلى 20 سنة، ثم الحصول على التقاعد بعدها، وأحياناً إلى 25 سنة¹.

أما بالنسبة إلى الطبقات التي يتشكل منها الفيلق الروماني حسب الترتيب، فنجد الطبقة الأولى تتشكل من الخيالة؛ وهي أعلى طبقة في الفيلق الروماني من حيث الترتيب، أما الطبقة الثانية فتضمّ المواطنين الأغنياء الكبار، والمشاة الثقيلة المسلحة بالسيوف. أما الطبقة الرابعة فهي خفيفة التسليح، مثلها في ذلك الطبقة الثالثة، ومهمتها الدعم أثناء الالتحام في الحرب².

ودور الطبقة الرابعة المؤلفة من الفقراء الذين يتسلحون الحجارة والمقاليع، هو المناوشة وخلق الرعب في صفوف العدو، وظهر اهتمام أوغسطس بالجيش خاصة بعد إعادة تنظيم بنيته كاملة، فحوله بذلك إلى جيش دائم تحكمه قوانين عسكرية صارمة، ويخضع لتنظيم عسكري جديد، قائم على التشكيلات المنفصلة بعضها عن بعض³.

كما كان الانضمام إلى صفوف الجيش الروماني، خلال العصر الامبراطوري، يمر بمرحلتين أساسيتين، تتميز كل واحدة منهما عن الأخرى بشروطها واختباراتهما، وكان لهما دور كبير في التربية البدنية العسكرية، يطلق على المرحلة الأولى منهما اسم مرحلة اختبار المؤهلات، وعلى المرحلة الثانية اسم مرحلة التدريب الأساسي، ويتم التركيز في المرحلة الأولى على فحص الطول والعمر والصفات الجسدية والأخلاقية والاجتماعية، أما المرحلة الثانية فهي مرحلة الخضوع للتدريب الأساسي.

أ-مرحلة فحص المؤهلات واختبارها:

1-فحص الطول والعمر:

¹ محمد البشير، شينتي: (2013)، ص 191.

² Davies, R: (1989), p.9.

³ Ibid., p10.

يعتبر الطول والعمر أهم ميزتين يجب توافرها في الشاب الذي يرغب في الانضمام إلى صفوف الجيش الروماني؛ حيث تم ذكر هذين الشرطين في المصادر الأدبية للمؤرخين القدامى، حيث تشير إلى أن الإمبراطور نيرون¹ عندما أنشأ فرق الجيش، كان جميع جنودها يبلغ أو يفوق طولهم 182 سم، كما يُشترط أن يكون جنود الصفوف الأولى من الفرقة، وجنود الخيالة المساعدة متمتعين بقامات أطول من بقية صفوف الجنود الأخرى، وجنود الوحدات المساعدة². وقد ذكرت أحد المصادر الأدبية أن طول جنود وحدات الخيالة حُدد بـ 177 سم، أما جنود الصفوف الأولى فيبلغ طولهم 172 سم³؛ وهذا دليل على أن شرط الطول يخص بالدرجة الأولى جنود النخبة وليس كل أفراد الجيش. أما بالنسبة لعمر الجنود فقد كان الحد الأعلى لعمرهم، خلال العصر الجمهوري، خمسة وثلاثين سنة، لكن خلال العصر الامبراطوري أصبح الحد الأدنى لعمر الجنود ثماني عشرة سنة، والحد الأعلى ثلاثة وعشرين سنة⁴.

2- البنية الجسمية السليمة:

يخضع الشاب في هذه الفترة لاختبار طبي صارم جداً، من قبل الضباط المسؤولين عن التجنيد، ويركزون بدقة على فحص البنية الجسمية والحالة الصحية وقوة البصر، كما تُدرس فيه شخصية الجندي من ناحية الانحلال الخلقي، والكسل، واللصوصية، وبعد اجتيازه هذا الاختبار يصبح جندياً في الجيش الروماني، ثم ينتقل لمرحلة تأدية القسم الخاص بالولاء للإمبراطوري، ويؤدي هذا القسم أمام الفرقة التي سوف يُجند فيها، ثم يُرسل المجند الجديد إلى معسكر تدريب خاص.

¹ نيرون Nero: حكم خلال الأعوام 54- 68 م، ويعرف باسم لوسيوس دوميتيوس هينوباربوس Lucius Domitius Ahnobarbus كان نيرون شخصية مثقفة وواعية فعمل على النهوض بالإمبراطورية وأبدى رغبة في أن يمارس القناصل مهامهم في الدولة، واتخذ كذلك الخطوات اللازم لتحسين النظام العام من حيث تحسين أنظمة خزينة الدولة ومنع حكام الولايات وموظفيهم من اقتطاع مبالغ كبيرة من السكان. للمزيد من المعلومات انظر: Grannt, M: (1985), p. 217.

² محمد البشير، شينتي: (2013)، ص 195.

³ Davies, R: (1989), p.6.

⁴ Ibid., p.7.

لكن بعد إصدار الإمبراطور كراكلا¹ قانونه الشهير سنة 212م، الذي مُنح بموجبه المواطنة الرومانية لجميع السكان القاطنين ضمن حدود الامبراطورية، فأصبح بإمكان الجميع التطوع أو التجنّد في صفوف الجيش الروماني أو الفرق الرومانية، وذلك ما أكسبها قاعدة تجنيد واسعة؛ حيث تجنّد الفلاحون وأصبحوا جنوداً متمرسين².

3- المنزلة الأخلاقية والاجتماعية:

سعى القادة الرومان إلى الحفاظ على منزلة الجنود ومهنتهم المحترمة؛ ولتعزيز التواضع عندهم، رفضوا تجنيد غير المرغوب فيهم اجتماعياً، وركزوا على اختيار شبان من منزلة اجتماعية محترمة، واستبعدوا صيادي الأسماك والطيور والخبازين، وقد مُنع منعاً باتاً تجنيد المجرمين، واللصوص والعتقاء والعبيد، إلا في حالات الضرورة القصوة بحال كان مرسوم كراكلا سمح بحالين في الخدمة العسكرية. أما بالنسبة لمن يشوب أصله الحرّ شائبة، أو من كان أصله موضع شك، فلا يُسمح له بالتطوع في الجيش حتى يُثبت أصله ويسوي وضعه. كما تمّ التأكيد على اختيار الشبان ذوي الأخلاق الحميدة.

2- مرحلة التدريب الأساسي:

بعد اجتياز المجندين اختبار المؤهلات في المرحلة الأولى التي يطلق عليها الفحص الطبي، ويقبل فيها المرء الانضمام إلى الجيش، بعد أن يستوفي الشروط السابقة، ينتقل المجند لاجتياز المرحلة الثانية وهي اختبار التدريب الأساسي الذي تدوم مدته أربعة شهور كاملة، يختبر فيها المجند عملياً؛

¹ كراكلا Caracala: يعرف بماركوس أوريليوس أنطونينوس وهو الاسم الذي أطلقه عليه والده بعد منحه لقب القيصر في عام 195 م، ولد في الرابع من نيسان عام 188م في مدينة ليون، وهو ابن الإمبراطور سبتيموس سيفيروس والإمبراطورة جوليا دومنا، ابتداء حياته السياسية بحصوله على لقب قيصر ثم حصل على لقب أوغسطس في عام 198م كما رافق أسرته في حملة إلى بريطانيا في عام 208م، ومع وفاة والده احتدمت المنافسة بينه وبين أخيه جيتا على الحكم حيث اقترح فيما بعد الحكماء لحل النزاع تقسيم الامبراطورية بينهما وإعطاء حكم أوربا إلى كراكلا وحكم آسيا إلى جيتا. للمزيد من المعلومات انظر: Babelom, (1957), p17.

² Ibid., p108.

للتحقق من القوة البدنية والجسمية والنظر الجيد والسرعة¹. ويوضح فيجيتوس ذلك من خلال قوله: "يجب ألا يحصل المجند على العلامة مباشرة، لكن في البداية يجب أن يختبر عن طريق التدريب؛ لمعرفة مدى صلاحيته لهذا العمل، وبهذه الطريقة تظهر السرعة والقوة المطلوبتان من المجند، وما إذا كان يمتلك شجاعة الجندي؛ لأن كثيراً من المجندين ثبت أنهم غير لائقين بعد الاختبار، على الرغم من أنهم بدوا مناسبين من ناحية المظهر الخارجي؛ لذلك يجب رفض الرجال الأقل صلاحاً، ويجب اختيار الجنود المتمتعين بمقدار أكبر من القوة والنشاط؛ لأنه في كل صراع لا يهم العدد، وإنما الشجاعة"².

وبعد انقضاء فترة التدريب الأساسي يطلق على الجندي اسم *Signatus* أي جندي مقبول في الجيش الروماني، حيث يبدأ عندها بتقاضي أجر، وتقدم له الدولة اللباس الموحد، وبعض التجهيزات والطعام. كما يُدرب المجند في هذه المرحلة على استخدام كل الأسلحة، والتحركات العسكرية، وطرق الحفاظ على الموقع والصفوف داخل الجيش. وكان المعيار الأساسي في تحديد نوع الوحدة التي سينضم إليها المجند، سواءً أكانت وحدة الفرسان أم كانت وحدة المشاة، هو المعيار الجسدي، ويؤدي الطول دوراً أساسياً في تحديد ذلك وبعد اجتياز هذه المرحلة يقدم المجند إضرارته التي تحوي معلوماته كلها، مثل العمر والطول والمنزلة الاجتماعية³.

ثالثاً: الإعداد العسكري:

يعد التدريب أو الإعداد العسكري من أهم العوامل التي ساعدت على توحيد الجيش الإمبراطوري الروماني وتطويره، أسهمت الظروف السياسية المحيطة بروما، بإعادة النظر في تكوين قوة عسكرية لا تضاهيها أي قوة، وأصبحت تجهيزاتها العسكرية أكثر تطوراً ومرونة، حتى وصل الجيش إلى درجة عالية من الاحتراف بعد الإصلاحات التي وضعها الأباطرة، فكانت قوة الجيش تكمن في حسن نظامه؛ ذلك أن

¹ Davies, R: (1989), p.8.

²² Vegetius, 1.3.

³ Davies, R: (1989), p.17.

الشاب الروماني كان يعد للحرب منذ صغره، وكان يمضي سنوات من عمره في العيش في المعسكرات، والتدريب على فنون القتال، فكان التدريب العنصر الأساسي الذي ساهم في عظمة الإمبراطورية الرومانية وتطورها وتوسعها، وهذا يرجع أيضاً إلى التنظيم والانضباط والتخطيط في تدريب الجيش¹.

كان المدربون الأكفاء يشرفون على تدريب المجندين الفرسان، وهؤلاء المدربون تطلق عليهم أسماء مختلفة مثل موجه التدريب في ساحات الاستعراض Magister Campi، وضابط آخر يعرف باسم Exercitatores.

وبعد تعلم الفرسان هذه التدريبات الأساسية، يخضعون لسلسلة أخرى من التدريبات المعقدة، تتمثل في التحرك السريع باستخدام أسلحة متنوعة، من خلال المطاردات والهجوم والتراجع المضاد؛ كل ذلك تحت إشراف مدرب مختص². ولم يكن التدريب حكرًا على الفارس فحسب، بل كان كذلك تدريب الحصان يتم على أيدي مدربين خبراء، لأنه يحتاج إلى التحكم به من قبل المجند، من خلال استخدام اللجام وحركات الأرجل لتدريبه على الاستدارة والمراوغات والتوقيفات والانطلاقة المفاجئة، حسب ما تتطلبه المعركة³.

وكانت معظم التدريبات للخيالة تتم على أراضي ساحات التدريب الواقعة خارج الحصون، بحيث كانت ساحات تدريب وحدات الخيالة المساعدة أكبر حجماً من ساحات تدريب المشاة؛ نظراً لحاجة الخيالة إلى مساحة واسعة للتدريب على استخدام الأسلحة، ولكي تعطي الحصان المساحة المناسبة للعدو⁴.

أما في أيام الطقس السيئ في الشتاء، فكان يتم بناء القاعات الكبيرة من ألواح الخشب، ويتدرب المجندون في هذه القاعات، خلال فصل الشتاء، على امتطاء الأحصنة الخشبية، أما في فصل الصيف

¹ Fields, Nic: (2006), p. 23.

² Davies, (1989), p. 110.

³ Fields, Nic: (2006), p. 24.

⁴ Davies, (1989), p. 115.

فإنهم يتدربون في ساحات التدريب الواقعة خارج الحصن على أنواع التدريبات كلها¹. كما استخدمت المنصة في العديد من التدريبات؛ لتدريب الفرسان على التشكيلات المتنوعة، وإضافة إلى ساحات العروض والقاعات كان هناك بجانب معظم الحصون الرومانية هضبة صغيرة من أجل تدريب الفرسان عليها صعوداً ونزولاً، واستخدمت أيضاً الأرض المستوية والبرك العميقة؛ للتدريب على السباحة. وفي المرحلة الأخيرة من التدريب، يُدرب الفارس على استخدام السيف والرمح، والركوب في الريف لتدريب الحصان ونفسه على المهام؛ حيث يتم في هذه المرحلة من التدريبات إرسال فارسين؛ لإجراء تمارين المطاردة في الريف، حيث يقوم الفارس الأول بركوب فرسه مسرعاً وحاملاً رمحه بيده، بحيث يكون رأسه إلى الخلف، بينما يقوم الفارس الثاني بمطاردته حاملاً رمحاً خفيفاً غير حاد الرأس، وعندما يصبح على مسافة رمية رمحه الخفيف، يحاول ضرب الفارس الهارب، وعندما يصبح قريباً منه يستخدم رمحه الطويل ليضرب به².

تجري هذه التدريبات بداية بين فارسين، ثم تتم بين مجموعة فرسان، تحت إشراف القادة والضباط. شكلت هذه العروض أحد أفضل الطرق لتدريب الخيالة وتحسين قدراتهم؛ حيث استخدمت فيها أسلحة مخصصة لهذا التدريب، وخيضت سلسلة معقدة من التدريبات الشاقة اشتملت على التحرك، ورمي القذائف، والكر، والفر، إضافة إلى رمي القذائف الخفيفة، وكذلك الحجارة باليد، أو المقلاع، واستخدم الفرسان السيوف وهم على ظهور الخيل، من توجيه الضربات والتدريب على طعن العدو وإسقاطه أرضاً، والقيام بتوجيه الضربات الجانبية في أثناء ركوبهم على جيادهم³.

أما بالنسبة إلى تدريب المشاة، فتذكر الكثير من المصادر التاريخية أن تفوق الجيش الروماني وانضباطه، سببه الرئيس التدريب القتالي؛ حيث تدرب المجندون الجدد تدريبات شاقة مدة أربعة شهور، توجب عليهم خلالها التدرب على الركض والقفز والسباحة، والوثب على

¹ Fields, Nic: (2006), p. 29.

² Davies, (1989), p. 115.

³ Webster, Graham: (1985), p. 235.

أحصنة خشبية، وقطع الأشجار، وحمل حزم خشبية ثقيلة، والسير بها مسافات طويلة¹. ومن بين أهمّ التدريبات التي خضع لها المجند، تعلمه السير بخطوات منسقة ومنظمة، والمحافظة على مكانه في التشكيلات، وكان لهذه الخطأ نوعين:

1-الخطوة القصيرة:

أطلق المؤرخ الروماني فيجينيوس على هذه الخطوة اسم الخطوة العسكرية²، وتطبق هذه الخطوة عند الحاجة إلى تدريب الجنود تدريباً متراصاً، كما توجب على المجندين الرومان من أجل الحفاظ على لياقتهم، الخضوع لمسير تدريبي منتظم ثلاث مرات في الشهر، وكان عليهم السير مسافة عشرين ميلاً رومانياً، خلال مدة أقصاها خمس ساعات بالخطوة العسكرية القصيرة³.

2-الخطوة العادية السريعة:

كانت هذه الخطوة أطول وأسهل من الخطوة القصير، وتطبق لمسافات طويلة، حيث فرض على المجندين قطع مسافة أربع وعشرين ميلاً رومانياً في أثناء السير بالخطوة السريعة، وإلى جانب ذلك فرض على المشاة حمل عدّتهم كاملةً في أثناء هذا السير، ولذلك ليعتاد المجند تحمل الصعوبات، وتحمل الأوزان الثقيلة في أثناء الحملات العسكرية. وفرض الانضباط على الجيش، استخدم قادة التدريب، في الكثير من الأحيان، العصا لضرب من يبطئ أو يتأخر عن رفاقه، وذلك ليصبح المجند قادراً على السير في الوقت المحدد⁴.

اشتمل تدريب الجنود الرومان في هذه المرحلة على تدريبات متنوعة؛ فكان عليهم التدريب على استخدام الأسلحة المتنوعة، والتدريب على الطعن بالسيوف الخشبية، إضافة إلى الركض والقفز فوق

¹ Davies, (1989), p. 120.

² Vegetius, 1.3.

³ Webster, Graham: (1985), p. 237.

⁴ Rankov, Boris: (2007), p. 64.

الخنادق، وإجبارهم على السباحة في البحر أو النهر، والسير في الأراضي الوعرة، فكان الهدف من تلك التدريبات هو تدريب الجندي على مواجهة أي طارئ قد يتعرض له في أثناء المعركة¹. تدرب الجنود على يد ضابط الجيش، على كل أنواع الفنون القتالية بالسيف، ورمي الرمح، واستخدام القوس والمقلاع، واستخدموا في هذه التدريبات الأسلحة المصنوعة من الخشب، مثل السيف الخشبي والترس المصنوع من أغصان الأشجار، كما استخدموا أسلحتهم للطنع والجرح ضد سارية خشبية مثبتة بالأرض، ثم تبارز المجندون ضد بعضهم البعض، باستخدام السيوف مع الحرص على تغطية الرأس بقطع جلدية؛ لمنع وقوع إصابات بينهم². ويعتبر استخدام السيف في التدريب العسكري من التقاليد الرومانية المهمة؛ نظراً لأهميته في تحقيق معظم انتصارات الرومان في معاركهم. ومن الأمور المهمة استخدام الرومان السيوف القصيرة في تدريباتهم؛ وذلك لغرس الشجاعة في نفوس المجندين، وإزالة التردد والخوف، وليكونوا أكثر قرباً من العدو، بدلاً من الهروب منه³.

أشرف على تدريب المجندين مجموعة من الضباط المتخصصين بالأسلحة؛ فكان هناك موجه التدريب في الفرقة *Campidoctor* وموجه الأسلحة الذي يشرح للمجندين كيفية استخدام الأسلحة، ووجدت أيضاً ساحات عروض خارج كل حصن لتدريب القوات؛ حيث توجب على الضابط المسؤول إخراج قواته إليه؛ من أجل التدريب⁴. استمر الرومان في تدريب الجنود تدريبات كبيرة، ثلاث مرات في الشهر، شملت ثلاث مسيرات، وبعد نهاية كل مسير يبني الجنود معسكراً محصناً، ويحفرون الخنادق، ويبننون المتاريس الترابية، وذلك كان من أساسيات التدريبات العسكرية؛ للحفاظ على كفاءة الجيش. كما شكلت المناورات في ساحات العروض المسير، مع حمل عدة القتال كاملةً وحفر الخنادق وتشكيل دروع السلحفاة، جزءاً هاماً من التدريب العسكري للجندي الروماني⁵. فكانت فكرة التدريب الشاقة أحد أهم

¹ Webster, Graham: (1985), p. 237.

² Davies, (1989), p. 122.

³ Rankov, Boris: (2007), p. 69.

⁴ محمد البشير، شنييتي: (2013)، ص 206.

⁵ Fields, Nic: (2006), p. 30.

صفات القائد الروماني المثالي، ليكسب اللياقة الفردية والمهارات القتالية؛ مثل السرعة والدقة والرشاقة، وتدريبوا أيضاً على المناورات المتنوعة، والمعارك الزائفة¹.

رابعاً: الألعاب الرياضية:

يعد اللعب من العوامل المحددة للثقافة البشرية، لأن يسهم إلى حد كبير في التعليم والترفيه في آن واحد، فحاجة الإنسان إلى اللعب والترفيه قديمة، وتعود إلى عصور ما قبل التاريخ إذ سعى الإنسان إلى إيجاد طرائق متنوعة لصرف همومه اليومية المتعلقة بالغذاء، وعندما استقر في طور الحضارة الراقية، أصبح له أماكن كثيرة يجتمع فيها لممارسة الألعاب.

ارتبطت الألعاب الرومانية منذ ظهورها في روما بالحياة السياسية، فاستغلها رجال السياسة ولعله من الأهمية بمكان أن نشير هنا إلى المقولة الشهيرة التي وردت على لسان الشاعر اللاتيني جوفينال؛ حينما حصر هم الشعب الروماني في الحصول على الخبز الذي يوزع في روما بالمجان. بهذا الشكل يكون قد تم نوع من المساومة على السلطة بين الطبقة الحاكمة وبقية طبقات المجتمع في روما، دون القدرة على تحديد الفترة الزمنية من تاريخ روما التي انطلقت فيها الألعاب الرياضية.

كما كان للألعاب الرياضية دور في تقوية الجسد وتنشيطه، كان لها دور في خلق يد عاملة مبدعة فقد ساهمت الألعاب الرياضية في تعليم حرف متنوعة فتأثر الحرفيون بألعاب المصارعة فنقلوا مشاهدتها عبر مراحلها المختلفة وكما أبدع حرفيو الفسيفساء في تصوير مشاهد تنافس عربات السباق، ولم تتوقف أعمالهم على هذا الحد بل تعداها إلى تمثيل مشاهد ألعاب القوى والملاكمة، وكما ساهمت الألعاب الرياضية في تطوير الهندسة المعمارية من خلال المنشآت الرياضية فشيدت المدرجات والمسارح وميادين سباق العربات².

¹ Rankov, Boris: (2007), p. 72.

² Fields, nic, (2006), p25.

وبهذا ساهمت الألعاب الرياضية في توفير فرص عمل إضافة إلى دورها في تطوير الحرف والمهن المختلفة، أما الإمبراطورية الرومانية فشهدت، خلال القرن الثالث الميلادي، إقبالاً كبيراً على أنواع عديدة من الأنشطة الترفيهية التي مارسها الكبار والصغار، والتي شملت أنشطة رياضية عديدة؛ منها الملاكمة ورمي القرص وركوب الخيل وغيرها من أنشطة رياضية. ونظراً إلى كون الألعاب من الأنشطة الحضارية، فقد اهتمت بها المصادر سواء الإغريقية منها أم اللاتينية، وتحدثت عن أساطير بدء هذه الألعاب، وتلك الأصول التي امتزجت فيها الحقيقة بالخيال. وترجع أهمية الألعاب وتنظيمها من قبل السلطات الرومانية إلى كونها أصبحت متنفساً للعامة، إضافة إلى أنها تمتص غضب الشعب فأصبح من الضروري إقامتها في العصر الإمبراطوري، تماماً كما يجب توفير الخبز لشعب روما¹.

كما مارس الرومان، على مختلف طبقاتهم الاجتماعية، ألعاب الحظ التي ذكرتها المصادر الأدبية اللاتينية؛ فذكر شيشرون أن الصغار يحتفظون لأنفسهم بالأسلحة وأرماع والصيد، في حين مارس كبار السن، ألعاب النرد والعظام باعتبارها لعبتهم المفضلة، وتكون عادةً هذه القطع مصنوعة من العاج أو الخشب²، ويذكر أوفيدوس أنه يجب على تلميذي أن يعرف كيفية رمي النرد على الطاولة بمهارة، حتى يعرف كيف يجلب الرقم ثلاثة³.

كما لعب الرومان لعبة الكلمات بطاولات اللعب Tabulae Lusoriae المكونة من 36 مربعاً؛ حيث يتوجب عليهم تكوين كلمات ذات مدلول ومعنى، وتكون متقابلة، ومن عدد الأحرف نفسه (الصورة رقم 21).

أما عن المسرح، فتشير المصادر إلى أن سبب إقامة العروض المسرحية سنة 364 ق.م، كانت إبعاد الطاعون الذي أهلك سكان روما، حيث طلب الرومان السلام من الآلهة، وإيقاف الوباء. ولتهدئة الغضب السماوي أجروا عروضاً بسيطة من دون غناء، أو إيماءات لترجمتها، وإنما تقتصر

¹ Juvenal: x. 81.

² Ciceron, XVI.

³ Ovide, III, 349- 380.

فحسب على رقص المشعوذين على صوت الناي، وسرعان ما بدأ الشباب يقلدونهم، لكن بضحك وسخرية إيماءات، وحين كانت العروض المسرحية تُقام، كانت تبنى لها مسارح مؤقتة من الخشب إلى حين إتمام العروض¹.

وقد أحب الرومان عروض المسرح لخطها الواقع بالسياسة في قالب هزلي، فكانت هذه العروض تعتمد على الإيماء بالأيدي، ووضع الأقنعة، حيث لكل شخصية قناع، كما كانت الألعاب تفرض ويحدد موعدها من قبل السلطات الرومانية، ولكن الأغنياء والأسر الأرستقراطية والراغبين في الحصول على المناصب الشرفية هم من يتحملون عبء الصرف عليها، وكان ذلك يعد بمقام الضريبة المفروضة عليهم، وكانت تلك الألعاب على الصعيد السياسي، تهدئ العامة وتسلي الشعب، وتساعد على الترفيه من جهة، غير أنها من جهة أخرى كانت مثل الوسيلة الردعية للشعوب المسيطر عليها، لترى تلك الشعوب ما الذي يحدث لمن يتحدى السلطات الرومانية أو يثور عليها؛ لأن ذلك يتجلى من خلال رمي المحكوم عليهم من الثوار لمصارعة الحيوانات المفترسة، والموت أحياناً داخل حلبة المصارعة، والكل يتفرج عليهم². ومن أهم الألعاب الرومانية:

1- الملاكمة:

لم ينصبَّ اهتمام الشعب والطبقة السياسية الحاكمة في روما على نوع معين من الألعاب الرياضية فحسب، لكن تعداه إلى ألعاب القوى التي احتلت مكانة مرموقة في قاموس الألعاب الرومانية، وقد تعود إلى بداية تأسيس مدينة روما، ومن المؤكد أن الملاكمة والمصارعة كانتا من ألعاب القوى التي تظهر على صفحات نصوص المصادر الأدبية اللاتينية، وفي النقوش ومشاهد لوحات الفسيفساء؛ ذلك أنهما لم تخسرا قيمتهما بوصفهما رياضتين وطنيتين، منذ أن كان الإيتروسك ملوكاً في روما، وتعد الملاكمة أكثر الألعاب شعبية لدى الإيتروسك ومن بعدهم الرومان، ويعود سبب اهتمام الرومان بهذا

¹ Tite Live, VII, 2.

² Dezobry. Ch: (w.d), p. 112.

السلوك الرياضي إلى أنهم الورثة الشرعيون للحضارة الإيتروسكية، ولكون الحضارة الرومانية قد تأثرت بالألعاب الإيتروسكية أكثر من غيرها.

أقدم تاريخ لممارسة الإيتروسك للملاكمة يعود على وجه التقريب إلى القرن السابع قبل الميلاد؛ حيث تظهر الرسوم الموجودة على جدران الأضرحة، وعلى واجهات المباني، ممارسة الإيتروسكيين هذه الرياضة¹؛ حيث يظهر، في هذه الرسوم المجسدة على مواد مختلفة، الملاكمون عراة ذوي بطون بارزة، يرقصون على إيقاعات ألحان الناي التي كان موسيقيّ يرافق تلك المنافسات بعزفها، وكان لتلك الموسيقى دورٌ في شحذ الهمم. أما بالنسبة إلى وضعية الرياضيين في الملاكمة، ففي إحدى المنافسات التي أنجزت على لوح حجري محفوظ في متحف فلورنسا بإيطاليا، يظهر ثلاثة ملاكمين يرافقهم موسيقي يعزف على الناي، ويبدو الرياضيون عراة الأجسام، يرفعون أيديهم إلى الأعلى؛ اليد اليمنى مفتوحة وممدودة إلى الأمام، في حين أن اليسرى مقبوضة إلى خلف رؤوسهم، أما عن أرجل الرياضيين، فيلاحظ تقديم اليسرى بثني طفيف للركبة².

2- رمي القرص:

توجب على ممارسي هذه اللعبة أن يكونوا ذوي بنية جسمانية قوية، فكان الأقراص التي يستخدمها الصاغر في التدريب على رياضة رمي القرص أخف من تلك التي يستخدمها الكبار. وكانت معظم الأقراص مصنوعة من البرونز، وقد اختلفت فيما بينها من حيث الوزن الحجم والسماكة، إذ يُراوح وزنها ما بين 1.245 كغ، و 5.77 كغ، وقطرها بين 16.5 سم، و 34 سم، وسماكتها ما بين 5 مم و 13 مم، هذا التباين في الأوزان والأحجام والسماكة بالنسبة للأقراص المعدنية يؤكد تباين أعمار الذين يمارسون هذه اللعبة، كما استخدمت الأقراص الحجرية أيضاً³.

¹ Fantar, (M.H): (1994), p. 170.

² Ibid., p170.

³ Gardinar, N: (1907), p. 6.

أما عن طريقة ممارسة هذه اللعبة، فيبدأ اللاعب بحمل القرص بكلتا يديه، مع إسناده بقوة إلى مقدم ذراعه اليمنى، ويبدأ برفع القرص إلى مستوى رأسه، ثم يجذب الذراع بشدة إلى أقصى ما يمكن أن تصل إليه خلفه، مع ثني القدم اليمنى، واستدارة الرأس والجسم لمتابعة هذه الحركة، ثم يستجمع قواه، ويهب واقفاً في اتجاه الأول فجأة، قاذفاً القرص بالقوة المستمدة من هذه الحركة العكسية الفجائية، وكان ثقل الجسم يقع على القدم اليمنى التي كانت بمقام نقطة الارتكاز، أما القدم اليسرى واليد اليسرى فوظيفتهما كانت تقتصر على حفظ توازن الجسم¹. كما عبر الفن عن مراحل عديدة لرمي القرص، ابتداءً من حمل القرص وحتى رميه، ففي تمثال برونزي جسدٌ لشاب رياضي يقف الوقفة التمهيدية لرمي القرص، إذ يمسك به بيده اليسرى، ويقدم القدم اليمنى إلى الأمام، مع انثناء خفيفة لها، بينما يستند على القدم اليسرى التي تتحمل ثقل الجسم، والرأس يميل قليلاً إلى اليمين. وقد أظهر هذا التمثال قسماً الوجه وعضلات الجسم، بطريقة تعبر عن مدى تركيز الشاب على الهدف (الصورة رقم 22).

3- ركوب الخيل:

كان سباق العربات ينظم بالسيرك، وهو ما يجلب انتباه العامة والخاصة، ومن بين العروض التي كانت تحظى بمكانة مميزة في روما سباق العربات، وكان السباق يحدد بتسابق فريقين لكل منهما لون خاص في العصر الجمهوري². أما في العصر الإمبراطوري فأصبحت أربع فرق، وكان الرهان يتم على لون اللباس وليس على الخيل، وقد جمع كثير من متسابقي الخيول ثروات كبيرة من سباق الخيل، كما كانت أفضل خيول السباق مستوردة من المقاطعات، ولاسيما الإفريقية المعروفة بسرعتها، على الرغم من أن تربية الخيول كانت منتشرة على نطاق واسع في إيطاليا، أما العمر المناسب للمشاركة في ركض الخيول مضمار السباق فهو ثلاث سنوات، وقد يصل حتى خمس سنوات، وكان سعرها مرتفعاً (الصورة رقم 23).

¹ Gardinar, N: (1907), p. 7.

² Dezobry. Ch: (w.d), p. 239.

لم يكن الشعب وحده المولع بالألعاب، بل كذلك الأباطرة ومنهم نيرون الذي كان يتحمس إلى درجة الجنون لكل ما يتعلق بالسيرك والمسرح، حتى إنه أراد قيادة العربات بنفسه، وقدم عرضاً بعد أن تمّ تدريبه في حدائق قصره أمام عبيده. كان السباق يدوم سبع لفات يواجه خلالها قواد العربات السباق أخطاراً كثيرة، كخطر تحطم العربة في أثناء السباق، أو خطر الاصطدام، حين تزاحم العربات، عند الرغبة في تغيير مسارها، هذا عدا الرياح التي كانت تشكل عائقاً أمام المتسابقين، وهذا ما يتضح من قول أوفيدوس "انظر إلى هذا السائق ركباً عربته، أحياناً يترك مقابضه تطفو، وأحياناً يتراجع بيده الماهرة كجواده المتلهفة للنصر"¹.

4-المصارعة:

تعتبر المصارعة في المجتمع الروماني من أهم وسائل الترفيه لديهم، وأكثر إثارة، رغم كونها اللعبة الأكثر دموية ووحشية، حيث يفتح في الصباح للرجال لمصارعة الأسود والدببة، وفي الظهر يلتقي الناجون من الحيوانات المفترسة لمصارعة غيرهم من المصارعين (الصورة رقم 24)، ورغم حب الساسة وسادة الرومان لها حسب تعبير المصادر، فإن بعض المفكرين اعتبروها أداة ترفيه، الغرض منها إبعاد العامة عن الشؤون السياسية والاجتماعية.

5-ألعاب الصغار:

ذكرت المصادر أن الأطفال كانوا يحاولون، في كثير من الأحيان، تقليد الكبار في ألعابهم، كذلك في حياتهم اليومية؛ فكانت ألعابهم صورة مصغرة عن ألعاب الكبار، فيبنون المنازل الصغيرة، ويربطون الفئران إلى عربة صغيرة، مثلما يفعل الكبار بالخيل لأجل سباق العربات، إضافة إلى ركوب طفل أو طفلين معاً قسبة طويلة للجري بها².

¹ Ovide, II, 425- 492.

² Seneque, 1.7.

كما انتشر اللعب بالكرة التي كانت مناسبة للأطفال، وكذلك الأمر لكبار السن، وحتى النساء والفتيات يلعبن بالألعاب الرياضية، وكان الأطفال يلعبون بالجوز، وحتى الكبار يلعبون معهم به، والأولاد أيضاً يلعبون بعربات متحركة مزودة بعجلات (الصورة رقم 26).

كما أشار القديس أوغسطينوس في كتاب الاعترافات إلى بعض الألعاب التي كان يحبها من صغره، وكان ينصرف عن الدراسة لأجلها، مثل كرة الراحية، والمصارعة، والمسرح وسماع القصص والأساطير، وكان يعتب على الكبار الذين يحرمون الأطفال اللعب، وهم في الوقت نفسه يلعبون طوال الوقت، لذا قال في هذا الصدد: "كنت أحب اللعب كثيراً، وكنت أعاقب بشدة إذا انصرفت عن الدراسة وحفظ دروسي، وذهبت للعب كرة الراحية؛ فلا أحد يرأف بلأطفال، رغم أن الكبار والكهول يحبون اللعب الذي يسمونه عملاً...¹"

وقال في موقع آخر: "كنت أحب اللعب؛ فقد كنت أحب من المصارعة روعة الانتصار، وفي الأساطير والخرافات كانت الأخبار الكاذبة تدغدغ أذني، وتبعث فيّ شغفاً أكثر، ويجرني فضولي بشدة إلى العروض المسرحية المسلية رغم أنها خصصت لكبار"².

كما عكست ألعاب الصغار الهرم الاجتماعي في تلك الفترة، فكان الآباء من الطبقات الراقية يعلمون أبناءهم ركوب الخيل؛ لأن ركوبها علامة الطبقة الراقية، ويقومون بشراء الأزياء العسكرية المقلدة لأطفالهم؛ حتى يكون تفكيرهم يناسب تفكير الطبقة التي ينتمون إليها، بينما يتعلم أطفال الفقراء المهارات التي تجعلهم يتقنون أعمال آبائهم³.

كانت جميع الأنشطة الترفيهية الخاصة بالأطفال، بغض النظر عن خلفيتهم الاجتماعية، تهدف إلى التنشئة الاجتماعية السليمة التي تكونهم وتهيئهم لأدوار المستقبل، فبدت هذه الألعاب في خشخشات

¹ Augustin, IX.15.

² Ibid., IX.16.

³ Toner, J. (2017), p. 99.

الأطفال، والأطواق، وعظام المفاصل، والدمى، والكرات، إضافة إلى الألعاب التي تجعلهم ناجحين حين يصبحون بالغين، وترتبط الدمى الأنثوية المصنوعة من الطين أو من القش، والعرائس المزخرفة مع تسريحات الشعر البارزة والملابس الصغيرة، بالفتيات الأكبر سناً اللاتي تجاوزن الثالثة من العمر، وهي نوع من الألعاب التي تكسب الفتيات هوية جنسية، وتدريبهم على حياة الأمومة منذ الصغر¹.

من خلال ما سبق عرضه في هذا الفصل يتضح أن الأسرة هي أهم مؤسسة تربية في المجتمع، حيث تحتضن الطفل منذ ولادته وإلى أن يصل مرحلة البلوغ، وقد دلت النصوص الأدبية عن مدى الحب الذي تكنه الأسرة لفئة الأطفال في هذا المجتمع. حيث كانت الأم هي المسؤول الأول والفاعل الرئيسي في دور التربية، فبالإضافة إلى دورها البيولوجي في الحمل والولادة والرضاعة، كانت تحمل على عاتقها أدوراً أخرى في الرعاية والتنشئة الاجتماعية، ويساعدها الأب بشكل نسبي في هذه الأدوار، لكن هذا لا يعني أن التربية الأسرية في تلك الفترة كانت مثالية، بل كان هناك بعض التقصير والإهمال من جانب بعض الأمهات والآباء في تربية أبنائهم، وهذا ما دفع الأباطرة لإصدار القوانين لإصلاح الوضع الأسري وإنقاذه من الضياع والتفكك.

¹ Ibid., p.115.

الخاتمة:

- 1- عرف المجتمع الروماني تطوراً علمياً وتعليمياً متميزاً، ومما ساعده على ذلك التفاعل الحضاري، ومحاكاة الشعوب الأخرى، فكانت المدن مراكز حيوية مزدهرة بالمعلمين والفلاسفة والموسيقيين، وشيدت فيها مراكز للدراسة، ومبانٍ للمكتبات.
- 2- انقسم التعليم إلى ثلاث مراحل كبرى؛ مرحلة التعليم الابتدائي، وتبدأ في سن مبكرة، حيث يوظف الآباء مربياً أو مربية، يسهر أو تسهر على تقويم سلوك الأطفال وتربيتهم حتى سن الخامس أو السادسة، لكن لم يوجد هذا المربي عند كل الأسر، ولا سيما الفقيرة منها، إذ هي مهمة منوطة بالوالدين عموماً، بالأُم بشكلٍ خاص؛ إذ إنها تلازم أبناءها منذ الولادة، وتشرف على تربيتهم، بينما يكّد الأب من أجل توفير تكاليف العيش التي من بينها أجرة التعليم. كما كان التعليم الابتدائي هو المرحلة الأساسية التي يتلقاها الأطفال سواءً أكان الصبيان أم البنات منذ السابعة، وخلالها يتمكن كل فرد منهم من تعلم الأبجديات الأولى للكتابة والقراءة والحساب وإتقانها، وكانت هذه المدارس تعتمد نظام الدوامين، وهذا يؤكد وجود جدول التوزيع الزمني الذي يرتب المواد المدروسة، كحصة للحروف والحساب وغيرهما، ومنه فإن العودة من المدرسة في منتصف النهار تكون من أجل تغيير الأدوات الدراسية المبرمجة للمساء. كما عرفت مرحلة التعليم الابتدائي تنظيمًا متكاملًا، انطلاقاً من المعلم والتلميذ، واتباع المقررات، والانضباط، واللوازم والكتب المدرسية.
- 3- أما مرحلة تعليم البلاغة، فيلتحق بها من يرغب في مواصلة تعليمه، ومن يستطيع التكفل بنفقاتها مادياً.
- 4- مرحلة تعليم النحو تتطلب تكاليف باهظة، ويركز فيها على مادة معينة يختارها الشاب وفق رغبته، ويتعلمها عن طريق أسلوب الخطابة، كما نتج عن هذه المرحلة من التعلم نخبة كبيرة ومتميزة، عادت بالنفع على وطنها، بشكل كبير في مختلف المجالات؛ محامون وقضاة ومعلمون وموظفون، ولكن هذا لم يمنع أيضاً من وصولهم إلى مختلف المناصب الكبرى في الجيش والإدارة الرومانية، وتمكنوا من سن القوانين أيضاً.
- 5- كان لدى الرومان أماكن للتسلية والترفيه، يقضون فيها أوقات فراغهم، ويلتقون بها أصدقاءهم ومن يحبون؛ ومنها المدرجات الرياضية حيث كانت تقام مختلف الألعاب كسباق العربات والمصارعة والألعاب الرياضية.

6- كما كانت التربية توفق بين العناية الجسدية والفكرية، ولهذا ربط الرومان بين الحصول على أبناء أصحاب وقادرين على خدمة مجتمع قويم، باختيار أزواج صالحين، وذلك برأي الرومان لم يكن يتحقق إلا إذا كان الأب والأم قادرين على تربية النشء؛ لأن التربية تعتمد بشكل كبير عليهما، وإن استعانا بالمربين، وكلما اتصف الأبوان بالأخلاق الفاضلة، انعكس ذلك بالإيجاب على الأولاد، والعكس صحيح، كما كانت الأسر تحرص على اختيار مربين ذوي أخلاق فاضلة؛ لمساعدة الأم على تربية الأطفال.

7- شكلت الأسرة على مر الأزمان الأساس في بناء المجتمع، باعتباره مكوناً من مجموعة من الأسر، غير أن الرومان، قبل العصر الإمبراطوري، كانت عندهم العائلة هي التي تسيطر على النظام الاجتماعي، مع ضرورة حفاظها على رابطتها القبلية التي تنتمي إليها، والمعتوقين والأتباع والعبيد، غير أنه خلال العصر الإمبراطوري وانتشار المدينة بدأت تطفو على السطح نظام الأسرة المصغرة التي تمثل جزءاً من الأسرة الكبيرة، وتتكون من الأب والأم والأولاد والعبيد؛ حيث اهتم المشرعون والأباطرة بسن قوانين، ومحاولة تنظيم الأسر بما يتوافق مع التغيرات التي حدثت، ومن بين هؤلاء الأباطرة أوغسطس الذي أصدر عدة قوانين، حفاظاً على الأسرة؛ مثل قوانين لمحاربة العزوبة، وغيرها من قوانين؛ فلم يكن الهدف من الزواج عندهم يعبر عن الحب وحسب، وإنما في غالب الأحيان كان الهدف منه هو الإنجاب، وضمان استمرارية النسل.

8- قوة بعض النساء وازدياد نفوذهنّ، أدّى في بعض الأحيان إلى الانحلال وضياع القيم الأخلاقية؛ مما أثر بشكل سلبي في المجتمع، فلم يكن هذا الأمر مقصوراً على نساء الأرستقراطية، بل تعداه إلى طبقة العامة، فأصبحت بعض لنساء تشرب الخمر من دون رادع أو عقاب، وتشارك في الحفلات الماجنة، وتحضر عروض المصارعة، كما أنّ منهنّ من فررن من منازلهنّ بدافع العشق والرغبة في عيش الملذات، وهو الأمر الذي أثار حفيظة المفكرين الأخلاقيين ورجال الدين وكذلك الشعراء؛ فبدؤوا ينددون بتلك الحرية المفرطة التي عواقبها وخيمة، والتي أدت إلى اندثار القيم والمبادئ الأخلاقية عند البعض.

9- كما عرفت النساء الرومانيات اهتمامهن بمظاهرهنّ، ووضع شعر مستعار، إضافة إلى التزين بالحلي والمجوهرات.

10- عرف الروماني عبقرية متميزة في الأدب الروماني، إضافة إلى الفلسفة والتاريخ وغيرها.

- 11- كان للمعلم دور مهم في عملية التعليم؛ فرغم أجره الزهيد، أظهر المعلم الروماني علاقة طيبة بتلاميذه، وعطفه وتسامحه، رغم ما يلجأ إليه أحياناً من استخدام العقاب المدرسي، في حال تقصير التلميذ في أداء واجباته.
- 12- تميز الجيش بتنظيم بنيته، وخضع من يلتحق به إلى شروط جسدية، إضافة إلى تدريبات عسكرية صارمة؛ مما ساعد على خلق جيش قوي، حقق نجاحات باهرة في التوسع والسيطرة على مناطق واسعة.
- 13- اعتنق الرومان الفلسفات اليونانية، رغم أنهم لم يكونوا شغوفين بالعلوم النظرية، بل كانت عقليتهم عملية تميل إلى النظام والحكومة والقانون، فأخذوا ما يناسبهم من هذه الفلسفات بما يتناسب مع طبعهم.
- 14- اتفق المفكرون الرومان على أن فترة الطفولة هي من أهم مراحل حياة الإنسان، وحاولوا تقديم العديد من المفاهيم التي تعبر عن هذه المرحلة، مؤكدين على أنها مرحلة يكتسب فيها الطفل السمات الأساسية التي تجعله يتحمل مسؤوليات اجتماعية ودينية وثقافية مستقبلاً، ويصبح فرداً فعالاً في المجتمع الذي ينتمي إليه، لذلك ظهرت آراءهم التربوية، والتعليمية في العديد من مؤلفاتهم.

قائمة المصادر الأجنبية:

- 1-Apulee, (1836), **Les Florides**, Euvres Completes d'Apulee, T1, Tr: Victor Betolaud, Garnier edition, paris.
- 2-Apulee, (1836), **Apologie**, Euvres Completes, T1, Tr: Victor Betolaud, Garnier edition, paris.
- 3-Aristo, (1922), **Rhetorique**, Tr, Ch. Emile, Ruelle, Bibliothe Cair a la bibiolothèque saint-Genevieve, Libraire Garnier Freres, Paris.
- 4-Augustin, (1868), **Les confessions**, Euvers Completes, Tr: M.Raul x,l:Guerinet cie Editeurs.
- 5-Cicero, (1920), **De Finibus Bonorum et Molorum**, Tr; H. Rackhan, Harvard University, Press, Cambridge.
- 6-Ciceron, (1933), **De la Vieillesse**, Tr: Charles Appuhn, Paris.
- 7-Cicero, (1920), **Repulic**, Tr: H. Rackhan, Harvard University, Press, Cambridge.
- 8-Diogenes, (Without Date), **Lives of Eminent Philosophers**, Tr: D, Hickch (M.A), Vol. I, London.
- 9-Dion Vassius, (1845), **Histrorie Romaine**, Tr: E. Gros, Paris.
- 10-Gelle, Aulu, (1920), **Les nuits Attiques**, Euvres Completes, Tr: M. Charpent, M Blanchet, Paris.
- 11-Jevenal, (1934), **Les Satires**, Euvres Completes, Tr: H. Clouard, Paris.
- 12-Martial, (Without Date), **Epigrammes**, Tr: M.V, Verger, Paris.
- 13-Ovide, (1927), **Lart d'aimer**, Tr: M. Heguin de Guerle. M. F. Lemaistre.
- 14-Ovide, (1930), **Les Produits de beaute Pour Le visage de la femme**, Texte etabil et traduit par Henri Borneque, Paris.
- 15- Plato, (1920), **Repulic**, Vol 1, Tr: A. Shorer, Cambridge university Press.
- 16-Pline L'ancien, (1853), **Histoire Naturell**, Tr: Dubchet, Eurve Complete, Gustave Gratiotm Paris.
- 17-Plutarque, (1870), **De l'education des enfants**, Tr: Hachette, Paris.
- 18-Plutaque, (1870), **Moralia**, Tr: F.C. Babbit, Cambridge Univesity.
- 19-Quintlian, (1927), **The Institio of oratoria**, Tr: H.E. Bulter, Harvard university.
- 20-Seneca, (1860), **De Animi Tranquilliate**, Tr: Rolf J.C, Paris.

- 21-Seneque, (1860), Letters a Lucilius, Tr: Rolfe J.C, Paris.
- 22-Tite live, (1852), Histoire Romaine, Tr: Eugene. Antine de gwnoude, Paris.
- 23-Vegetius, (1996), Epitome, Vol 1. 3, Tr: N.P.Milner, Liverpool university Press.

قائمة المراجع العربية:

- 1-أحمد علي، عبد اللطيف، (1973)، التاريخ الروماني، دار النهضة العربية بيروت.
- 2-أمين، عثمان، (1971)، الفلسفة الرواقية، مكتبة الأنجلو، القاهرة.
- 3-الأندلسي، نظار، (2017)، الحياة اليومية للمرأة في المغرب القديم، ط1، دار القلم، الرباط.
- 4-بدوي، عبد الرحمن، (د.ت)، تاريخ الفلسفة في ليبيا كرينارس القورينائي، دار صادر، بيروت.
- 5-حلمي مطر، أميرة، (1977)، الفلسفة عند اليونان، دار النهضة العربية، القاهرة.
- 6-حلمي مطر، أميرة، (1988)، الفلسفة عند اليونان تاريخها ومشكلاتها، دار المعارف.
- 7-داوود، أحمد، (2011)، تاريخ سوريا الحضاري، ج3، دار يتوبيا.
- 8-رزق الله أيوب، إبراهيم، (1996)، التاريخ الروماني، منشورات جامعة سبها.
- 9-السعدني، محمود إبراهيم، (1949)، تاريخ وحضارة الرومان منذ نشأة روما وحتى نهاية القرن الأول الميلادي، ج1، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة.
- 10-شعراوي، عبد المعطي، (1982)، أساطير إغريقية، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة.
- 11-صليبا، جميل، (1982)، المعجم الفلسفي، ج1، دار الكتاب اللبناني، بيروت.
- 12-عادل عبد الحق، سليم، (1959)، روما والشرق الروماني، سورية، مطبوعات الهيئة العامة للآثار والمتاحف، دمشق.
- 13-عبد الحليم الحمصاني، ناهد، (2007)، رؤية في سقوط النظام الجمهوري وسقوط النظام الإمبراطوري، القاهرة.
- 14-عبد التوزري، إبراهيم، (1976)، تاريخ التربية بتونس، الشركة التونسية للتوزيع، تونس.

- 15- عطا الحسن، (2007)، مظاهر الحضارة البطلمية الرومانية، مكتبة دمياط.
 - 16- عبد الغني، محمد السيد، (1999)، شبه الجزيرة العربية ومصر والتجارة الشرقية القديمة، الكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية.
 - 17- عبد التواب، علي ورمضان السيد، صلاح، (د.ت)، الأدب اللاتيني في عصر الجمهورية وصدر الإمبراطورية، القاهرة.
 - 18- عكاشة، ثروت، (1991)، الفن الروماني، القاهرة.
 - 19- فاروق، هبة، (1998)، دراسة تحليلية للصور والتماثيل الشخصية للإمبراطورات والأميرات خلال العصرين الروماني والبيزنطي، كلية الآداب، الأردن.
 - 20- محمد البشير، شنييتي، (2013)، علم الآثار تاريخ منهجه مفرداته، دار الهدى، الجزائر.
 - 21- الناصري، سيد أحمد علي، (1991)، تاريخ الإمبراطورية الرومانية السياسي والحضاري، ط2، دار النهضة، القاهرة.
 - 22- نصحي، إبراهيم، (1978)، تاريخ الرومان من أقدم العصور حتى عام 331 ق.م، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة.
 - 23- يوسف، عبد الرحمن، (د.ت)، تاريخ النظم الاجتماعية والقانونية، دار الكتاب الجديد بيروت.
- قائمة المراجع المعربة:**
- 1- إيمار، أندريه وجانين، أوبويه، (1986)، تاريخ الحضارة العام روما وإمبراطوريتها، مج2، ط2، منشورات عديدات، باريس.
 - 2- باكر، أرنست، (1966)، النظرية السياسية عند اليونان، ترجمة: لويس إسكندر، مراجعة: محمد سليم سالم، ج2، القاهرة.
 - 3- بران، جان، (1992)، الفلسفة الأبيقورية، تعريب: جورج أبو كسم، الأبجدية للنشر، دمشق.
 - 4- جيجن أولف، (1974)، المشكلات الكبرى في الفلسفة اليونانية، ترجمة: عزي قرني، دار النهضة العربية القاهرة.

5-دونالد، ر. ولي، (1963)، حضارة روما، ترجمة: جميل بواقيم الذهبي، دار نهضة مصر للطباعة، القاهرة.

6-ديورنت، ول، (2000)، قصة الحضارة، مج5، ج10، ترجمة: محمد بدران، القاهرة.

7-رسل، برتراند، (1967)، تاريخ الفلسفة الغربية القديمة، ترجمة: زكي نجيب محمود، مراجعة: أحمد أمين، مطبعة لجنة التأليف والترجمة للنشر، القاهرة.

8-سارتون، جورج، (1970)، تاريخ العلم، ج4، ترجمة لفيث من العلماء، دار المعارف القاهرة.

9-سعدني، محمود ابراهيم، (1994)، تاريخ وحضارة الرومان منذ نشأة روما وحتى نهاية القرن الأول الميلادي، ج1، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة.

10-شارل أندري، جوليان، (1985)، تاريخ شمال إفريقيا، الدار التونسية للنشر، تونس.

11-كويلستون، فردريك، (2002)، تاريخ الفلسفة (اليونان والرومان)، ترجمة: إمام عبد الفتاح إمام، مج1، منشورات المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة.

12-م. ب. تشارلزورث، (1999)، الإمبراطورية الرومانية، ترجمة: عبده جرجس، مراجعة: محمد صقر خفاجة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة.

13-مترو، بول، (1949)، المرجع في تاريخ التربية، ج1، ترجمة: صالح عبد العزيز، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة.

14-مونتسيكو، (1954)، روح الشرائع، ج2، ترجمة: عادل زعيتر، دار المعارف الإسكندرية.

15-ولز، ه. ز، (د.ت)، معالم تاريخ الإنسانية في المسيحية والإسلام، ترجمة: عبد العزيز توفيق جاويد، المكتبة المصرية.

قائمة المراجع الأجنبية:

1-Adabert Gautier, Hamman, (1979), La vie goutidienne en Afrique de nord autemps de saint Augustine, Hachtte, Paris.

2-Albert (p), (1871), Histoire de literature Romaine, t.I,Edite.c.Delagrave, Paris.

- 3-Aurthur, E,R, (1970), **history of Rome to ad 565**, London.
- 4-Beck, F, (1975), **Album of Greek education The Greeks at school at play**, Sydney press.
- 5-Biagio, G.B, (1980), **Latin Literature A history**, Trans. By: solodow, J.B, The Johns Hopkins university press, Battimore, London.
- 6-Brennant. T.Corey, (2000), **The Praetorship in Roman Republic**, Oxford university.
- 7-Bernard (A), (2000), **Dictionnaire Latin de poche**, Librairie Generale de France.
- 8-B.Rawson, (2003), **Children Childhood, in Roman Italy**, Oxford university press, new york.
- 9-ch, laes, (2017), **touching children in roman antiquity the sentimental discourse and the family**, rouledge, new york.
- 10-Davison, Thomas, (1900), **A history of education**, new york.
- 11-Davies (r), (1989), **Service in the Roman Army**, Colombia university, new york.
- 12-Dezobry, ch, (without date), **Rome au siècle d'Uguste**, t4. Edition libraires, ch. Delagarve.
- 13-Fanter (m.h), (1994), **la mosaïque en tunisie**, Tunis: ed- de la mediterrane.
- 14-Fields, nic, (2006), **Roman Auxiliary Cavalry man Ad 14- 193**, osprey Publishing.
- 15-Frank.T.A, (1923), **A history of rome**, London.
- 16-Gardiner, N, (1907), **the throwing the javelline**, jhs.
- 17-Grant, M, (1985), **The roman an emperors**, Charles, scibner sons, New York.
- 18- Gourvitich, Danielle, (2001), **La femme dans la roman antique**, Hachtt.
- 19-Gwyn, Aubry, (1926), **Roman Education from cicero to quintilian**, oxford.
- 20-Hadas, M.H, (1959), **Hellinistic Culture Fusion and diffusions**, Oxford.
- 21-Irnee Marou, Henri, (1948), **Histori de l'eductaion dan l'antique**, T2, Editions du seuil.
- 22-Jackson, R, (1988), **Doctors and disease in the Roman Empire**, London.

- 23-Jal (p), (1977), **Romanentous**, edit .A. J, picard, Paris.
- 24-Jones, J.C,(1971), **Plutarch and Rome**, London.
- 25-Monroe, p, (1922), **A text book in the history of education**, New York, The macmian company.
- 26-Monroe, p, (1939), **Souce Book of the history of education, for the Greek and Roman period**, New York.
- 27-Perowne, s, (1960), **Hadrian**, Copy Right by stewart perowne, press, London.
- 28-Rankov, Boris, (2007), **Military Finance and Supply**, chgrw, vol II, Cambridge university, press.
- 29-Toner, J, (2017), **Leisure as site of child socialist agency and resistance in the Roman empire**, New York.
- 30.V, Dasen, (2011), **Child birth and infancy in Greek and Roman Antiquity**, Chapter 18.
- 31-Vandroux, Karirine, (2002), **lehochet Dans l'histoire spirales**, N24.
- 32-Veron, Arnold, (1958), **Roman Stoicism**, New York.
- 33-Vogr, J, (1965), **Ancient Slavery and Ideal of Man**, trans by J. wedemans, London.
- 34-Webster, Graham, (1985), **The roman Imperial Army**, university of Oklahoma, press.
- 35-Wheeler, M,(1979), **Roman Art and Archieture**, London.
- 36-Wilds, Elmar, Harrison, (1950), **The Foundation of Modern education**, New York.
- 37-Wolff, Catherine, (without date), **l'education dans le monde Romain du debut de la republique a la mort de commode**, Paris.
- 38-Yakoum (m), (1944), **splendeurs des mosaiques de Tunisie**, Tunis, ed, de la mediterranee.
- 39-Yankell, Jeshoa, (2014), **Roman Doctors**, USA, Brandeis university.
- 40-Zetezil, J.E.G, (1995), **Cicero de republica**, Cambridge university press.

ملحق الصور



الصورة رقم (1)

أحد الأسر تفاوض البیداجوج، القرن الأول الميلادي،

متحف نابولي الوطني.

عكاشة، ثروت: (1991)، لوحة 371، 369.



الصورة رقم (2-3)

المربية سفريانا Severiana nutrix، القرن الثالث الميلادي،

متحف كولوني بألمانيا.

<https://books.openedition.org/pur/108984>

l'epitaphe-et-la memoire



الصورة رقم (4)

فسيفساء لطفل روماني، القرن الثالث الميلادي،

المتحف الأثري في سورية.

<https://data-cavhe.abuledu.org/512/l-enfant-aux-oiseaux-de-sousse-526bd968.jpg>



الصورة رقم (5)

لوحة مطلية عليها الشمع، القرن الأول الميلادي،

المتحف الروماني الجرمانى بـكولن - ألمانيا.

Beck. FA: (1975), fig 17, p. 39.



الصورة رقم (6)

أقلام الكتابة على اللوحة، يكتب بها من الجهة المدببة،
ويمسح بالجهة التي يوجد بها المخروط، القرن الأول الميلادي.
المتحف الروماني الجرمانى - ألمانيا.

Beck. F.A: (1975), fig 17, p. 39.



الصورة رقم (7)

تمثل تلميذ بساحة أكتوغال بقصر بلفيدار،

متحف الفاتيكان.

Beck, F.A, (1975), fig 28, p. 63.



الصورة رقم (8)

نحت بارز على تابوت روماني يمثل وسيلة الجلد في المدارس، القرن
الثاني الميلادي.

Rome, Museo, Capitolino.

Beck, F.A, (1975), fig541, p. 54.



الصورة رقم (9)

مشهد تعليمي يظهر التلاميذ قد التفوا حول معلمهم، النصف الثاني من القرن الثالث الميلادي.

متحف ترامنس - ألمانيا.

عكاشة، ثروت: (1991)، لوحة 300، 376.



الصورة رقم (10)

تمثال سيدة رومانية بلباس الستولا ق.3.م.

متحف الكابيتول بروما.

<https://www.alamyimages.fr/woman2romaine>



الصورة رقم (11)

تمثال سيدة رومانية ق 3 م.

المتحف الوطني بروما.

<https://www.alamyimages.fr/woman2romaine>



الصورة رقم (12)

مجوهرات من الذهب وبعضها على اليمين مرصع بالأحجار الكريمة، القرن الثالث الميلادي.

المتحف الأثري بالرباط.

فاروق، هبة: (1998)، ص270.



الصورة رقم (13)

دبابيس شعر برونزية.

المتحف الروماني الجرمانى - ألمانيا.

القرن 2م.

فاروق، هبة: (1998)، ص 28.



الصورة رقم (14)

تصفيف شعر سيدة رومانية، ق2م،

متحف تراقيا بألمانيا.

<https://www.alamymagesfrli-empire-romain-scene-de-coiffure-museum-treres>



الصورة رقم (15)

سيدة في حالة ولادة في وضعية الاستلقاء على السرير، القرن الثاني
الميلادي.

متحف أوستيا بإيطاليا.

<https://visualizingberth.org/clarical-roman-birth-scene>



الصورة رقم (16)

نقش بارز لعملية الاهتمام بالطفل بعد الولادة - عملية التحميم للطفل

بحضور النسوة، القرن الثاني الميلادي.

متحف الكابيتولين بروما.

<https://www.arretetonchar.fr/rome>



الصورة رقم (17)

فتاة تمسك بالقلم والكتاب وتفكر فيما ستكتبه، النصف الثاني من القرن
الأول الميلادي.

متحف نابولي الوطني.

عكاشة، ثروت: (1991)، لوحة 411، ص 503.



الصورة رقم (18)

فتاة تتعلم العزف على آلة الليرا الموسيقية، النصف الثاني من القرن الأول
الميلادي.

متحف نابولي الوطني.

عكاشة، ثروت: (1991)، لوحة 422، ص 515.



الصورة رقم (19)

فتاة وشاب يمسان بالقلم ولوحة الكتابة، النصف الثاني من القرن الأول
الميلادي

متحف نابولي الوطني.

<https://myrom.sjsu.edu/romeweb/writers/art2htm>



الصورة رقم (20)

نحت بارز على تابوت روماني يعبر عن مراحل حياة الطفل من المهد حتى
التحاقه بالمدرسة. القرن الثاني الميلادي.

متحف اللوفر بباريس.

Wheeler, M, (1979), fig 155, p.176.



الصورة رقم (21)

طاولة لعب 12 سطر و 12 حرف، تعود للقرن الأول قبل الميلاد

متحف إيفان بتركيا

<https://www.ancientgames.org/ludus.doudecim-scriptorum>



الصورة رقم (22)

تمثال من البرونز لرمي القرص بالوقوف التمهيدية يعود ل 400 ق.م

متحف الفاتيكان - روما

Gardiner, N, (1907), fig 13, p. 24.



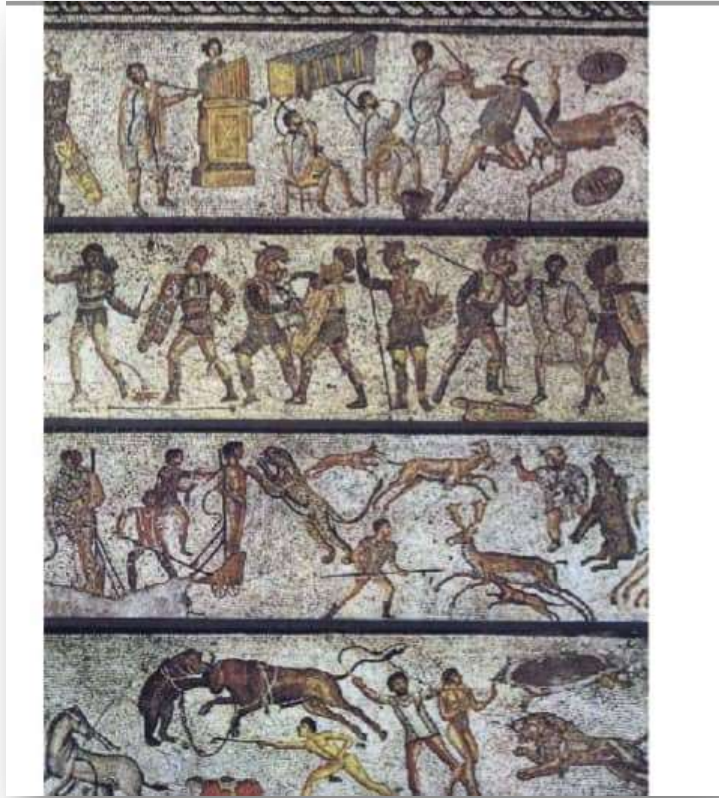
الصورة رقم (23)

فسيفساء تصور لاعبي سباق الخيل من الفرق الأربعة

الأحمر، الأخضر، الأورق، الأبيض، من فيلا السفيرين بباكانو بإيطاليا.

القرن الثالث الميلادي.

Yakoub,(m): (1994), p. 317.



الصورة رقم (25)

فسيفساء زيلتن تصور مشاهد المصارعة بأنواعها ورمي الأسرى للحيوانات
على أنغام الموسيقى.

كتحف السرايا الحمراء بطرابلس.

Bestiari. lpg: (Wikimedia. Org)



الصورة رقم (26)

لعبة حصان بعجلات، المتحف الملكي للفن والتاريخ.

بروكسل

Beck, F.A: (1975), fig 35, p. 115.

Abstract

This research aims to shed light on the upbringing and education of children from the royal era, based on the review, of the available Latin literary texts and the extrapolation of sources, and this is what made us conclude that education and education had an important place in Rome, although it was interested in military and political affairs, but at the same time it gave the child and childhood are of great importance, since the childhood stage constitutes the great hope on which societies are built, and the process of education includes all processes that aim at the integrating the child into the heart of the group and qualifying him to assume social, economic and moral responsibilities, and this is evident in the writings those interested in education, such as Contilian, cicero, and others, their advice was practical aimed at caring for the formation of virtues and the correction of morals, and none of the Roman philosophy as did the Greek Writers, but rather the Romans in general viewed education as being practical and realistic.



Syrian Arab Republic

Damascus University

Faculty of Arts and Human Sciences

Department of History

Education In The Roman Imperial Era

(27 B.C- 330 A.D)

**A dissertation submitted in partial fulfillment of the
requirements for the degree of Master in The Ancient
History.**

By

Nedaa Walid Sayaf

Supervisor

Dr. Taghreed Shaban

2023.